الأخطار والكوارث الطبيعية في بلدان الخلافة الشرقية من مستهل القرن الثاني إلى نهاية القرن الخامس الهجريين

"أنواعها ـ نتائجها ـ أساليب مواجهتها"

إعداد

دكتور

حسن أحمد عبد الرازق السمين

المدرس بقسم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية

كلية دار العلوم – جامعة الفيوم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأخطار والكوارث الطبيعية في بلدان الخلافة الشرقية من مستهل القرن الثاني إلى نهاية القرن الخامس الهجريين
أنواعها - نتائجها - أساليب مواجهتها

د/ حسن أحمد عبد الرازق السمين
المدرس بقسم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية
كلية دار العلوم – جامعة الفيوم

تمهيد

تعرضت بلدان الخلافة الشرقية[1] خلال الفترة موضوع البحث لمجموعة من الأخطار والكوارث الطبيعية المتنوعة، منها الزلازل والهزات الأرضية والانهيارات الطينية والتصدعات الأرضية وانزلاق الصخور والأحجار، وزحف الرمال، والسيول والفيضانات والأمطار والثلوج والعواصف والرياح، والصواعق وموجات الحر والبرد، والجفاف والقحط والمجاعات، والأوبئة والأمراض، هذا بالإضافة إلى أخطار الجراد وبعض الحشرات والقوارض وغيرها.

وقد تركت هذه الأخطار والكوارث آثاراً ونتائج سيئة في مختلف مناحي الحياة وبخاصة الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية والعسكرية.

وكان من الطبيعي أن يتخذ أهل هذه البلاد حكاماً ومحكومين بعض الإجراءات لمواجهة هذه الأخطار والكوارث، وما نتج عنها من آثار، وإن كان الجهد المبذول في هذا المضمار لم يتناسب مع حجم هذه الكوارث مما أدّى إلى

---

[1] – قصدت ببلدان الخلافة الشرقية هنا تلك البلاد الواقعة شرق بلاد العراق مثل إقليم فارس وخراسان وما وراء النهر والهند وأذربيجان، وغيرها من الأقاليم والبلدان الشرقية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ازدياد الخسائر الناجمة عنها، كما سيتضح خلال هذا البحث الذي قسمته إلى **مباحث ثلاث تعقبها خاتمة:**

أما المبحث الأول فعنوانه: أنواع الأخطار والكوارث الطبيعية التي تعرضت لها هذه المنطقة.

والمبحث الثاني عنوانه: النتائج والآثار الناتجة عن الأخطار والكوارث.

والمبحث الثالث عنوانه: أساليب مواجهة الأخطار والكوارث وما نتج عنها من آثار.

وأما الخاتمة، فخصصتها لأهم نتائج البحث.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الأول

أنواع الأخطار والكوارث الطبيعية التي تعرضت لها المنطقة

تعرضت بلدان الخلافة الشرقية في الفترة موضوع البحث إلى مجموعة من الأخطار والكوارث الطبيعية المتنوعة منها:

١ـ الزلازل:

توالت على هذه المنطقة من العالم الإسلامي كثير من الزلازل والهزات الأرضية التي خلفت وراءها آثاراً مدمرة، وخسائر فادحة، ففي سنة ١٢٣هـ/٧٤٠م زُلزِلتْ فرغانة[١] زلزلة شديدة خلفت خسائر بشرية ومعمارية كثيرة[٢]، وفي سنة ١٤٨هـ/ ٧٦٥م حدثت زلزلة عنيفة في بلاد خراسان، وبلغ من قوتها أن تصدعت الجبال، وتبدد بعضها[٣]، كذلك تعرضت هذه البلاد وبلاد

١ـ مدينة في بلاد ما وراء النهر متاخمة لبلاد تُركستان، بينها وبين سمرقند خمسون فرسخاً[ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م): معجم البلدان ج ٤ ص ٢٥٣، طبعة دار صادر، بيروت، بدون تاريخ].

٢ـ ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج ٢ ص٢٣٨، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، بدون تاريخ].

٣ـ ابن العبري (جمال الدين أبو الفرج غريغوريوس الملطي المعرون بابن العبري ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م): تاريخ الزمان ص ٩، ترجمة الأب إسحق أرملة، طبعة دار المشرق، بيروت ١٩٨٦م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ما وراء النهر سنة ٢٠٣هـ/٨١٨م لمجموعة من الزلازل المدمرة استمرت سبعين يوماً كان معظمها ببلخ[١] و الجوزجان[٢] والفارياب[٣] والطالقان[٤].

وفي سنة ٢٢٤هـ/٨٣٨م أُصيبت فرغانة مرة أخرى بزلزال عنيف أسفر عن خسائر فادحة في الأرواح[٥]، وعادت الزلازل من جديد لتضرب إقليم خراسان ضربة عنيفة سنة ٢٢٦هـ/٨٤٠م قوّضت بعض مدنه، وجعلتها تلاً من تراب[٦].

---

١ ــ من أشهر مدن خراسان وأكثرها خيراً[ياقوت: معجم البلدان ج ١ ص٤٧٩، ٤٨٠].

٢ ــ تنطق أيضا جوزجانان، وهي كورة واسعة من بلاد خراسان تقع بين مرو الروذ وبلخ[السابق ج ٢ ص ١٨٢].

٣ ــ مدينة مشهورة بخراسان من أعمال جوزجان قرب بلخ غربي نهر جيحون[السابق ج٤ ص٢٢٩].

٤ ــ ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م): الكامل في التاريخ ج ٥ ص٤٥١ تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ابن العماد الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحي بن العماد ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب ج١ ص٥، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ. وأما الطالقان فهناك بلدان إحداهما بخراسان بين مرو الروذ وبلخ خرج منها جماعة من الفضلاء، والأخرى بلدة وكورة بين قزوين وأبهر، وبها عدة قرى يقع عليها هذا الاسم، وإليها ينسب الصاحب بن عباد[ياقوت: معجم البلدان ج٤ ص٦، ٧].

٥ ــ ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (حتى أحداث سنة ٢٥٧هـ) ج١١ ص٨٩، تحقيق محمد ومصطفى عبد القادر عطا، ط١، بيروت ١٤١٢هـ/١٩٩٢ ، الكرديزي (أبو سعيد عبد الحي بن الضحاك بن محمود الكرديزي ت٤٤٣هـ/١٠٥١م): زين الأخبار ج١ ص٢١٧، ٢١٨، ترجمته عن الفارسية الدكتورة عفاف السيد زيدان، ط١، دار الطباعة المحمدية، القاهرة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٦ ــ ابن العبري: تاريخ الزمان ص ٣٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفي سنة ٢٤١هـ/٨٥٥م حدثت زلزلة شديدة بالري، ظلت تتردد أربعين يوماً، وتركت خراباً كبيراً[١]، وفي العام التالي اتسعت دائرة الزلازل، فضربت بلاداً عدة في إقليمي فارس وخراسان، وأحدثت دماراً هائلاً، يقول ابن الجوزي في أحداث سنة ٢٤٢هـ/٨٥٦م: "كانت بقومس ورساتيقها[٢] زلازل، فهدمت منها الدور..... وسقطت بلدان كثيرة على أهلها، وسقط نحو من ثلثي بسطام، وزلزلت الري وجرجان ونيسابور وأصبهان وقُمّ[٣] وقاشان[٤]، وذلك كله في وقت واحد، وسقطت جبال ودنا بعضها من بعض، ونبع الماء مكان الجبال، ورجفت أستراباذ[٥]، وأصيب الناس كلهم"[٦]، وخُسِف بعدة قرى في خراسان[١].

---

١ ــ ابن الأثير: الكامل ج ٦ ص١٢٤، ١٢٥.

٢ ــ الرساتيق جمع رستاق، وهي كلمة فارسية تعني كل موضع فيه مزارع وقرى، ولا يقال ذلك للمدن كالبصرة وبغداد، فهو عند الفرس بمنزلة السواد عند أهل بغداد، وهو أخص من الكورة[ياقوت: معجم البلدان ج١ ص٣٧، ٣٨].

٣ ــ مدينة مستحدثة إسلامية لا أثر للأعاجم فيها، تم تمصيرها في أيام الحجاج بن يوسف الثقفي سنة ٨٣هـ/٧٠٢م على يد طلحة بن الأحوص الأشعري وهي بين أصبهان وساوة، وأهلها شيعة إمامية[السابق ج ٤ ص٣٩٧].

٤ ــ مدينة بالقرب من أصبهان، وبينها وبين قم اثنا عشر فرسخاً، وأهلها شيعة إمامية[السابق ج ٤ ص ٢٩٦، ٢٩٧].

٥ ــ بلدة مشهورة من أعمال طبرستان بين سارية وجرجان، يُنسب إليها جماعة من أهل العلم[السابق ج ١ ص ١٧٤، ١٧٥].

٦ ــ المنتظم ج ١١ ص٢٩٤، ٢٩٥، وانظر: الطبري (محمد بن جرير ت٣١٠هـ/٩٢٢م): تاريخ الطبري ج ٥ ص٣٢٥، ط١ دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٧هـ، ابن الأثير: الكامل ج ٦ ص ١٢٦، ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص١٤٣، ط٣ دار المشرق، بيروت١٩٩٢م، الذهبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م): سير أعلام النبلاء ج ١٢ ص ٣٧، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفي سنة ٢٤٤هـ/٨٥٨م دمرت الزلازل مدينة تبريز[٢]، وقتلت كثيراً من أهلها[٣]، وفي سنة ٢٤٩هـ/٨٦٣م أصاب أهل الري زلزلة شديدة ورجفة خلفت خسائر فادحة في المباني والأنفس[٤]، كما أُصيبتْ الصَّيْمَرةُ[٥] بزلازل عنيفة وهدَّات عظيمة سنة ٢٥٨هـ/٨٧١م سقطت منها المنازل وقتلت كثيراً منه أهلها[٦]، وفي سنة ٢٨٠هـ/٨٩٣م ضربت الزلازل مدينة دَيبُل[٧] بالهند، وخلفت

=ط٩ مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٣٠٧، الأصفهاني (أبو عبد الله حمزة بن الحسن): تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ص ١٤٦، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ. وفيه أن هذا حدث سنة٢٤١هـ.

١ ــ اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م): تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص٤٩١، طبعة دار صادر، بيروت بدون تاريخ.

٢ ــ من أشهر مدن أذربيجان، وإليها يُنسب جماعة من أهل العلم[ياقوت: معجم البلدان ج ٢ ص١٣].

٣ ــ كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص ١٩٦، ترجمة بشير فرنسيس، وكوركيس عواد، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بدون تاريخ.

٤ ــ ابن الأثير: الكامل ج٦ ص١٥٥.

٥ ــ بلد بين ديار الجبل وخوزستان على يسار القاصد من همذان إلى بغداد[ياقوت: معجم البلدان ج٣ ص٤٣٩].

٦ ــ الذهبي: تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ٢٥١ ــ ٢٦٠هـ، ص ٢٨ تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط١ دار الكتاب العربي، بيروت ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، الأصفهاني: سني ملوك الأرض والأنبياء ص١٤٧.

٧ ــ الدَّيْبُل مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند[ياقوت ج ٢ ص٤٩٥].

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وراءها كثيراً من الخسائر[1]، وفي سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م "ساخ جبل بالدينور[2] في الأرض، وخرج من تحته ماء كثير غرق القرى"[3].

وفي سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م زُلزلتْ هراة، [4] وتهدمت دورها[5]، وفي سنة ٣٤٦هـ/٩٥٧م ضربت الزلازل بلاد الجبال وقم ونواحيها، وتتابعت أربعين يوماً تسكن ثم تعود[6]، كما زُلزِلت الطالقان والري ونواحيهما وخُسف بكثير من قراهما، وقد أحدثت هذه الزلازل خراباً كبيراً ودماراً هائلاً في هذه المناطق[7]، وفي سنة ٣٤٧هـ/٩٥٨م ضربت الزلازل بلاد الجبل وقم وقاشان، فخربت الأبنية، وقتلت الخلق[8].

---

١ – الذهبي: سير أعلام النبلاء ج١٣ ص٤٧٢، الأصفهاني: سني ملوك الأرض والأنبياء ص ١٤٧، ١٤٨، ابن العبري: تاريخ الزمان ص٤٧.

٢ – مدينة من أعمال الجبل قرب قَرْميسين، ينسب إليها كثير من أهل العلم[ياقوت: معجم البلدان ج٢ ص٥٤٥].

٣ – ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج٣ ص١٨٠.

٤ – من أمهات مدن خراسان مليئة بالخيرات، ينسب إليها كثير من أهل العلم[ياقوت: معجم البلدان ج٥ ص٣٩٦، ٣٩٧].

٥ – ابن العماد: شذرات الذهب ج ١ ص٨٠.

٦ – ابن الأثير: الكامل ج٧ ص ٢٥٩.

٧ – ابن الجوزي: المنتظم ج٦ ص٣٨٤، ابن الأثير: الكامل ج٧ ص٢٥٩، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٣١٧، ابن العماد: شذرات الذهب ج١ ص٣٧١.

٨ – مسكويه (أحمد بن محمد ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م: تجارب الأمم، حوادث سنة ٣٢٩ – ٣٦٩هـ ج٢ ص ١٦٨، مطبعة بولاق، القاهرة ١٣٣٣هـ/١٩١٥م، ابن الجوزي: المنتظم ج٦ ص٣٨٧، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج٣ ص٣١٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفي سنة ٣٦٧هـ/٩٧٧م زُلزِلت سيراف[١] زلزلة عظيمة استمرت سبعة أيام، وأحدثت بها خسائر كثيرة، جعلتها آية لمن تأملها، وعبرة لمن اتعظ بها[٢]، كما ضربت الزلازل مدينة الدينور سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٧م، وخلَّفتْ خسائر اقتصادية ومعمارية وبشرية هائلة[٣]، وفي السنة نفسها أصابت كُلّاً من سيراف والسيف[٤] رجفة شديدة، تركت خسائر في الأرواح ووسائل النقل والمواصلات البحرية[٥].

ومن أكثر الزلازل دماراً وأسوأها أثراً في مختلف مناحي الحياة ـ كما سيبين البحث في موضعه ـ تلك الزلازل التي ضربت مدينة تبريز سنة ٤٣٤هـ/١٠٤٢م، ونظراً لعظم المصيبة لبس الخواص والعوام السواد حداداً

---

١ ـ مدينة جليلة على ساحل بحر فارس بينها وبين شيراز ستون فرسخاً، كانت قديماً فرضة الهند، وقيل كانت قصبة كورة أردشير خُرّة من أعمال فارس[ياقوت: معجم البلدان ج٣ ص٢٩٤، ٢٩٥].

٢ ـ المقدسي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ت ٣٩٠هـ/٩٩٩م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص ٢٨٤، ٢٨٥، تحقيق غازي طليمات، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ١٩٨٠م، ابن الجوزي: المنتظم ج٧ ص٨٧.

٣ ـ ابن الجوزي: المنتظم ج٧ ص٢٣٨، ابن الأثير: الكامل ج ٨ ص٥٠، ابن العبري: تاريخ الزمان ص ٧٦، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج٤ ص ٢١٨، ابن العماد: شذرات الذهب ج ٢ ص١٥٠.

٤ ـ يطلق هذا الاسم على ثلاثة مواضع على ساحل بحر فارس الأول سيف بني زهير والثاني سيف بني الصفار والثالث سيف آل المظفر بالقرب من سيراف مما يلي البصرة[ياقوت: معجم البلدان ج ٣ ص ٢٩٨، ج ٥ ص ٢٧٤].

٥ ـ ابن الجوزي: المنتظم ج ١ ص ٢٣٨، الحوادث من سنة ٢٥٧هـ/٨٧٠م إلى آخر الكتاب، ط١ دار صادر، بيروت ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

على ما أصابهم[1]. وفي سنة ٤٤٤هـ/١٠٥٢م دمرت الزلازل بلاداً عدة في فارس وخراسان وخلفت خسائر معمارية وبشرية كبيرة، وبخاصة في أرَّجان[2] وإيْذَج[3]، وبيهق[4].

وفي سنة ٤٥٨هـ/١٠٦٥م حدثت زلزلة عظيمة في إقليم خراسان استمرت أياماً، فتصدعت منها الجبال، وخسفت بعدة قرى، وأزهقت أنفساً كثيرة، وشردت آخرين[5]، وفي سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م ضربت بلاد خوزستان وفارس زلزلة شديدة، كان أشدها ضرراً بأرَّجان، وخلفت خسائر كثيرة بشرية واقتصادية[6]، وفي سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٧م، زُلزِلت همذان وما جاورها من أرض الجبل،

---

١ – ناصر خسرو: سفرنامه ص ٣٨، تحقيق د. يحيى الخشاب، ط٣ دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٨٣م، ابن الجوزي: المنتظم ج ٨ ص١١٤، ابن الأثير: الكامل ج ٨ ص٢٦٠، ابن العبري: تاريخ الزمان ص٩١، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ٥ ص٣٥، ابن العماد: شذرات الذهب ج٢ ص٢٥٣، ٢٥٤.

٢ – مدينة كبيرة كثيرة الخيرات تتوسط المسافة بين شيراز وسوق الأهواز على بعد ستين فرسخاً عن كُلٍّ منهما[ياقوت: معجم البلدان ج ١ ص ١٤٢، ١٤٣].

٣ – كورة من أجلّ كور مدن فارس كثيرة الخيرات، تقع بين خوزستان وأصبهان[السابق ج ١ ص٢٨٨].

٤ – ابن الأثير: الكامل ج ٨ ص٣١٠، وانظر ابن الجوزي: المنتظم ج ٨ ص١٥٤، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ٥ ص٥٣. وأما بيهق فهي ناحية كبيرة وكورة واسعة كثيرة البلدان والعمارة من نواحي نيسابور بينهما ستون فرسخاً، وينسب إليها كثير من الفضلاء وأهل العلم[ياقوت: معجم البلدان ج١ ص٥٣٧، ٥٣٨].

٥ – ابن الجوزي: المنتظم ج ٨ ص٢٤١، ابن الأثير: الكامل ج ٨ ص٣٧٧، ابن العماد: شذرات الذهب ج ٢ ص٣٠٤.

٦ – ابن الجوزي: المنتظم ج ٩ ص ١٤، ابن الأثير: الكامل ج ٨ ص٤٤١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فرجفت بهم الأرض سبعة أيام، فتركت خسائر معمارية وبشرية فادحة، وشردت كثيراً من السكان[1].

٢ــ العواصف والرياح العاتية:

تعد العواصف والرياح العاتية من الأخطار والكوارث الطبيعية المناخية التي تُلحق أضراراً كبيرة بالمناطق التي تعصف بها، وقد تعرضت بلدان الخلافة الشرقية خلال الفترة موضوع البحث لهبوب عواصف ورياح ألحقت بها كثيراً من الخسائر البشرية والاقتصادية.

ففي سنة ٢٣٤هـ/٨٤٨م أصاب أهل همذان وما حولها ريحٌ سَموم لم يُعهد مثلها من قبل، استمرت نيفاً وخمسين يوماً تركت خسائر بشرية واقتصادية فادحة[2]، وفي سنة ٢٤٠هـ/٨٥٤م خرجت ريح باردة من بلاد الترك فمرت بمرو وسَرْخَس[3] ونيسابور والري وهمذان، وخلفت وراءها كثيراً من الموتى[4].

---

١ ــ ابن الجوزي: المنتظم ج ٩ ص ٣٨.

٢ ــ الأصفهاني: سني ملوك الأرض ص ١٤٥، ١٤٦، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ٢ ص٢٧٥، ابن العماد: شذرات الذهب ج ١ ص٨٠.

٣ ــ مدينة قديمة من مدن خراسان، تقع على منتصف الطريق بين نيسابور ومرو، على بعد ست مراحل عن كل منهما[ياقوت: معجم البلدان ج ٣ ص ٢٠٨].

٤ ــ ابن الجوزي: المنتظم ج ١١ ص٢٧٠، الأصبهاني: سني ملوك الأرض ص ١٤٦، وفيه أن ذلك كان سنة ٢٤١هـ/٨٥٥م. ابن العماد: شذرات الذهب ج ١ ص٩٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأما مدينة زَرَنْج[1] فكانت تصيبها العواصف الرملية التي تنقلها الرياح العاتية من مكان إلى آخر، وكانت هذه الرمال المتحركة مبعث خطر وضرر دائم لأهل المدينة، يقول ابن حوقل: "وتنتقل رمالهم من مكان إلى مكان، ولولا أنهم يحتالون فيها بسياسات قد توارثوها.....؛ لطمت القرى والمدن بها، وأخبرني من صدر عنهم في سنة ستين (أي ٣٦٠هـ/٩٧٠م) إلى مصر ..... فقال: تواترت علينا الرياح في السنة الماضية بما لم تجر بمثله عادة، وأكبَّت الرياح بالرمل على الجامع، وتزايد الأمر على البلد بالأذى والبلاء..... فأيقنوا بأنه إن أقام عليهم يومه وليلته القابلة هلك البلد"[2]، ولم يكن خطر هذه الرمال مقصوراً على ذلك فحسب، وإنما أضرت بالتربة فصارت أرض هذه المدينة سبخة[3].

كما هبَّت ريح سوداء سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٧م على شيراز أسفرت عن خسائر معمارية واقتصادية كثيرة[4]، وأغرقت كثيراً من المراكب في بحر فارس[5]، كذلك

---

١ ــ هي قصبة إقليم سجستان وأعظم مدنه، ولها ربض واسع الأبنية كثير السكان، وفيه دور الإمارة لآل الصفار[ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن حوقل النصيبي ت٣٨٠هـ/ ٩٩٠م): صورة الأرض ص ٣٤٩، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ، ياقوت: معجم البلدان ج ٣ ص١٣٨].

٢ ــ صورة الأرض ص ٣٥١، وانظر: كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص ٣٧٥، وآدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ج ٢ ص ٢٨٩، ٢٩٠، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط٣ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م.

٣ ــ ابن حوقل: صورة الأرض ص ٣٥٠.

٤ ــ ابن الجوزي: المنتظم ج ١ ص ٢٣٨.

٥ ــ ابن العبري: تاريخ الزمان ص ٧٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هبت ريح قوية في هذا البحر سنة٤٢٥هـ/١٠٣٣م أغرقت كثيراً من السفن وأهلكت كثيراً من البشر[١]، وفي سنة ٤٦٤هـ/١٠٧١م عصفت الرياح بقرية باغ[٢]، فنسفت كثيراً من الحبوب، واقتلعت الأشجار[٣]، كما كان هيجان الرياح والبحر كثيراً ما يضر بالسفن، مما دفع قوادها إلى أن يرسوا بسفنهم في بعض الأماكن الأقل خطراً[٤].

٣ــ الفيضانات والسيول والأمطار والثلوج:

تحدث الفيضانات عندما تتجاوز كميات المياه الواردة للنهر من مصادر مختلفة قدرته وقدرة روافده على استيعابها[٥]، وأما السيول فهي في واقع الأمر نوع من الفيضانات الخاطفة المدمرة التي تحدث نتيجة لهطول مطر شديد فوق منطقة محدودة المساحة نسبياً بشكل فجائي قصير المدى[٦].

---

١ ــ السابق ص٨٦.

٢ ــ قرية بينها وبين مرو فرسخان[ياقوت: معجم البلدان ج ١ ص ٣٢٥].

٣ ــ ابن الجوزي: المنتظم ج ٨ ص٢٧٣.

٤ - ابن حوقل: صورة الأرض ص ٣٢٩.

٥ ــ د. محسوب (محمد صبري) ، د. أرباب (محمد إبراهيم): الأخطار والكوارث الطبيعية، معالجة جغرافية ص ١٠٢، طبعة دار الفكر العربي، القاهرة ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م. والفيضانات إما موسمية يمكن توقع حدوثها في فترة معينة من السنة مع قدوم كميات ضخمة من المياه في تلك الفترة المعروفة سواء بسبب مياه أمطار أو ثلوج ذائبة تتجاوز طاقة النهر، وإما مفاجئة أو طارئة لا قاعدة لها، ولا يمكن توقعها، وقد تكون نتيجة حدوث إعاقة في مجرى النهر بسبب تراكم رواسب وصخور تعمل على رفع منسوب المياه في النهر، أو تكون ناتجة عن تصدع وانهيار السدود [السابق ص ١٠٣].

٦ ــ السابق ص٩٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد تعرضت بلدان الخلافة الشرقية خلال الفترة موضوع البحث لكثير من الفيضانات والسيول المدمرة، وبخاصة في المناطق التي تهطل عليها الأمطار بغزارة وتكثر فيها الثلوج وتتراكم مثل همذان التي قال عنها المقدسي: "معدن الرعد والبرد والثلج"[1]، والري التي وصفها بأنها "كثيرة الجليد والثلج"[2] وإقليم الجبال "وهو إقليم بارد كثير الثلوج والجليد"[3]، وإقليم الرحاب[4] "وهو إقليم بارد كثير الثلوج والأمطار"[5]، وبلخ التي وصفها ابن حوقل بقوله: "يقع بها وفي نواحيها الثلوج العظيمة، وهي من أكابر بلاد الصَّرود[6]، ويجمد بها الماء"[7]، وغيرها من البلاد[8].

وقد ألحقت هذه السيول وتلك الفيضانات خسائر فادحة في شتى مناحي الحياة في تلك البلاد، ففي سنة ٢٩١هـ/ ٩٠٣م تعرضت جُبَّى[9] لسيل وادٍ من أوديتها

---

[1] – أحسن التقاسيم ص٢٦٥.

[2] – السابق ص٢٦٢.

[3] – السابق ص٢٦٦.

[4] – ناحية بأذربيجان ودَرْبَنْد، وأكثر أرمينية يشتملها هذا الاسم[ياقوت: معجم البلدان ج٣ ص ٣١].

[5] – المقدسي: أحسن التقاسيم ص٢٥٧.

[6] – جمع الصُّرْد أو الصَّرَد، وهو البرد الشديد[ابن منظور (محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ت٧١١هـ/١٣١١م): لسان العرب ج٣ص٢٤٨ – ٢٤٩ مادة ص ر د، ط١ دار صادر، بيروت، بدون تاريخ].

[7] – صورة الأرض ص٣٧٦.

[8] – انظر السابق ص٤٠٩، الأصفهاني: سني ملوك الأرض ص ١٤٩، ١٥٠، ابن الأثير: الكامل ج٧ ص٤٣٤، ٤٣٥، ابن العبري: تاريخ الزمان ص٨٦.

[9] – كورة من أعمال خوزستان[ياقوت: معجم البلدان ج٢ ص٩٧].

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الجبلية، أحدث بها دماراً هائلاً، وخسائر في الأرواح والمواشي والغلال، وتهدم كثير من منازلها، وغرقت كثير من قراها[1].

وفي سنة ٣١٠هـ/٩٢٢م تعرضت مدينة أصفهان لسيل أحد أوديتها المسمى وادي زرين رود، فعطل هذا السيل مظاهر الحياة في تلك المدينة، وأصابها بشلل تام حتى خشي الناس على أنفسهم، يقول الأصفهاني: "وفي سنة عشر وثلاثمائة مدَّ وادي زرين رود مداً تجاوز فيه الحد، وخرج عن العادة، فطما الماء حتى ركب ظهور القناطر ومنع الناس العبور عليها، فكان تشد الكتب على السهام، ويرمى بها من باب المدينة إلى ناحية ورزقا باد[2]، حتى خشي أهل المدينة على أنفسهم. وقد كان الماء ركب جانب السور، ونقب ناحية منه"[3]. وفي سنة ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م اجتاح مدينة الأنبار[4] ونواحيها سيل مدمر، أسقط مبانيها، وأغرق الناس والبهائم والسباع[5].

وعادت السيول الناتجة عن الأمطار الغزيرة تضرب أصفهان سنة ٣٤٤هـ/٩٥٥م، فأحدثت بها كثيراً من الأضرار، وقطعت على الناس الطرق

---

١ ــ الطبري: تاريخ الطبري ج٥ ص٦٥٥.

٢ ــ لم أعثر على تعريف بها في المعاجم الجغرافية المتاحة، ولكن سياق الكلام يقتضي أن تكون إحدى النواحي القريبة من أصبهان.

٣ ــ الأصفهاني: سني ملوك الأرض ص١٤٨.

٤ ــ مدينة قرب بلخ، وهي قصبة ناحية جوزجان، على جبل بالقرب من مرو الروذ، وهي أكبر منها[ياقوت: معجم البلدان ج١ ص٢٥٧].

٥ ــ ابن العماد: شذرات الذهب ج١ ص٣١٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لامتلائها بالمياه، وسالت الميازيب[1]، ومد الوادي وفاض بماء مختلط بالطين منتن، لم يُعهد مثله في الحمرة والكدرة، وبقي الوادي على حال الزيادة والكدرة أربعة عشر يوماً[2]. وفي سنة ٣٧٨هـ/٩٨٨م "تتابعت الأمطار وكثرت البروق والرعود والبرد، وسالت الأودية وامتلأت الأنهار والآبار ببلاد الجبل، وخربت المساكن وامتلأت الأقناء طيناً وحجارة وانقطعت الطرق"[3].

ومن الأودية التي كانت كثيراً ما تفيض، ويُحدث فيضانها أضراراً كثيرة وادي الصُّغْد[4] بسمرقند[5]، حيث كان هذا الوادي تمده مياه الثلوج الذائبة صيفاً في جبال البُتَّم[6] وأُشْرُوسَنَة[7]، وسمرقند، ونظراً لغزارة تدفق هذه المياه كان فيضان هذا الوادي يُحدث بثوقاً[8] كثيرة فيه، "وربما زاد الماء حتى يقلب

---

١ – وزب الشيء يَزِب وُزُباً إذا سال. قال الجوهري: الميزاب هو المِثْعَب فارسي مُعَرَّب، والجمع ميازيب[ابن منظور: لسان العرب ج ١ ص ٧٩٦ مادة وزب].

٢ – الأصفهاني: سني ملوك الأرض ص ١٥٠، ١٥١.

٣ – ابن الأثير: الكامل ج ٧ ص ٤٣٤، ٤٣٥.

٤ – إقليم واسع وكورة كبيرة قصبتها مدينة سمرقند[ياقوت: معجم البلدان ج ٣ ص ٤٠٩].

٥ – مدينة مشهورة، وهي قصبة إقليم الصغد – كما هو مذكور أعلاه – وهي مبنية على جنوبي وادي الصغد مرتفعة عليه[السابق ج ٣ ص ٢٤٦، ٢٥٠].

٦ – البُتَّم جبال يقال لها البتم الأول والبتم الأوسط والبتم الداخل، ومياه بخارى وسمرقند وجميع الصُّغْد من البتم الأوسط[السابق ج ١ص ٣٣٦].

٧ – بلدة كبيرة بما وراء النهر من بلاد الهياطلة بين سيحون وسمرقند، وبينها وبين سمرقند ستة وعشرون فرسخاً[السابق ج ١ ص ١٩٧].

٨ – البَثْق: كسْرُك شط النهر لتشق الماء. وقال ابن سيدة: بَثَق شِقَّ النهر يَبْثُقه بَثْقاً أي كسره لينبعث ماؤه، واسم ذلك الموضع البَثْق والبِثْق، وقيل: هما مُنْبَعث الماء، وجمعه بُثوق[ابن منظور: لسان العرب ج ١٠ ص ١٢ مادة بثق].

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

السكر[1] لقنطرة جيرد[2]، فيُحيَّرَ أهل سمرقند في سدِّ ذلك لكثرته وغزارته"[3].

وفي سنة ٤٢٥هـ/١٠٣٣م فاض بحر فارس " والأنهار وتفجرت ميازيب السماء واجتاحت المياه كثيراً من القرى"[4]، وفي سنة ٤٥٤هـ/١٠٩٢م ورد سيل شديد ليلاً ونهاراً اجتاح كثيراً من المدن والقرى في بلاد فارس وإقليم الجبال، "فوقف الماء في الدروب وسقطت منه الحيطان، واتصل المطر..... وكان في أثنائه من البَرَد الكبار ما أهلك كثيراً من الثمار..... وقد ورد مطر ثمانين يوماً متوالية ما طلعت فيه شمس"[5].

وفي سنة ٤٦٤هـ/١٠٧١م وقع سيل عظيم وبَرَد كثير في طريق خراسان، أضر كثيراً بالزروع والأشجار والنخيل حيث غطى البرد من سوقها قدر فخذ الإنسان[6].

ومن الأودية التي كثيراً ما كانت تفيض فتُحدث أضراراً كثيرة وادي دزج أحد

---

١ ــ سكَرَ النهر يَسكُره سكْراً سَدَّ فاه، وكل شق سُدَّ فقد سُكِر. والسَّكْرُ ما سُدَّ به. والسَّكْرُ سَدُّ الشق ومُنْفَجَر الماء. والسَّكْرُ اسم ذلك السِّداد الذي يُجعَل سداً للشق ونحوه[السابق ج ٤ ص ٣٧٥ مادة سكر].

٢ ــ قنطرة من الحجارة مبنية على هذا الوادي[كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص ٥١٠، ٥١١].

٣ ــ ابن حوقل: صورة الأرض ص ٤٠٩، ٤١٠.

٤ ــ ابن العبري: تاريخ الزمان ص ٨٦.

٥ ــ ابن الجوزي: المنتظم ج ٨ ص ٢٢٥.

٦ ــ ابن الجوزي: المنتظم ج٨ ص ٢٧٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أودية قزوين[1]، حيث كانت مياهه تزيد وتفيض، "فتضر بالدور والعمارات"[2].

أما **الأنهار التي كانت تطغى مياهها** وتُحدث كثيراً من الخسائر فمن أشهرها نهر جيحون حيث أدى طغيانه إلى تخريب مدينة كاث[3] وقلعتها في بداية المائة الرابعة للهجرة، فلم يبق منها رسم ولا طلل[4]، وكان نهر قاشان غالباً ما يطغى فيضانه على المدينة في فصل الربيع، وبعد أن يجتازها يفنى في المفازة المجاورة لها[5].

كذلك كان **توالي الأمطار** كثيراً ما يسبب أضراراً كثيرة لسكان هذه البلاد، يقول ابن حوقل: " لا تخلو جرجان وطبرستان شتاءهم وصيفهم من الأمطار الدائمة الكثيرة العظيمة المؤذية المضجرة القاطعة للغريب عن الأشغال والمهمات من الأعمال"[6]، ويقول: "طبرستان بلد كثير المياه..... وهو إقليم كثير الأمطار، وربما اتصل المطر سنة جرداء فلا يرون فيها الشمس"[7].

---

١ – لقزوين ثلاثة أودية يُسقى منها كروم القصبة على كثرتها، وأصل هذه الأودية تجتمع في الجبال، ولا يصل ماء هذه الأودية إلى البلدة إلا بمعاونة الثلج والمطر، وهذه الأودية هي: وادي دزج ووادي أرنوك ووادي زرارة[القزويني (عبد الكريم بن محمد الرافعي ت٦٢٣هـ/١٢٢٦م): التدوين في أخبار قزوين ج١ ص ٤٩، تحقيق الشيخ عزيز الله العطاري، المطبعة العزيزية، حيدر آباد، الهند ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م].

٢ – السابق ج١ ص٤٩.

٣ – بلدة كبيرة من نواحي خوارزم شرقي جيحون[ياقوت: معجم البلدان ج٤ص٤٢٧].

٤ – ابن حوقل: صورة الأرض ص٣٩٥، كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص٤٨٩، ٤٩٠.

٥ – كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص٢٤٥.

٦ – ابن حوقل: صورة الأرض ص٣٢٤.

٧ – السابق ص ٣٢٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكثيراً ما تكون هذه الأمطار مصحوبة بسقوط الثلوج التي تحدث أضراراً كثيرة بالزروع والأشجار، مثلما حدث في مدينة أصبهان سنتي ٣٣٠هـ/٩٤١م و ٣٣٢هـ/٩٤٣م[١]، ومدينة الدينور سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٧م[٢]، وقد عانى سكان هذه البلاد كثيراً من أضرار الثلوج التي حالت بينهم وبين قضاء حوائجهم، وقد أدرك بعض الحكام ذلك ــ كما سيبين البحث في موضعه ــ وسعوا لتخفيف المعاناة عن رعاياهم في تلك الأيام التي تتساقط فيها الثلوج والأمطار بغزارة[٣]، كما كان لسقوط الثلوج أثر كبير في حسم بعض المعارك العسكرية[٤].

٤ــ موجات البرد والحر:

كذلك عانت هذه البلاد من موجات البرد وموجات الحر التي كانت تصيب بعضها، وتسبب أضراراً كثيرة، يقول المقدسي: "اعلم أن بفارس صروداً[٥]، لا تثمر فيها الأشجار من شدة البرد، ولا ينعش فيها الزرع"[٦]، ويقول ابن حوقل عن صرود بلاد فارس: "وأما الصرود ففيها أماكن تبلغ من شدة البرد أن لا

---

١ ــ الأصفهاني: سني ملوك الأرض ص١٤٩.

٢ ــ ابن العماد: شذرات الذهب ج٢ ص١٥٠.

٣ ــ نظام الملك (أبو علي الحسن بن علي ت٤٨٥هـ/١٠٩٢م): سياسة نامه ص٥٧، تحقيق حسين بكار، ط٢ دار الثقافة، قطر ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م. وسوف يأتي الحديث عن هذا مفصلاً في المبحث الخاص بنتائج الأخطار والكوارث.

٤ ــ انظر مثلاً مسكويه: تجارب الأمم، حوادث سنة ٣٢٩ ــ ٣٦٩هـ، ج ٢ ص ١٥٤.

٥ ــ الصرود هي البلاد شديدة البرد، وهي خلاف الجروم أي البلاد الحارة[ابن منظور: لسان العرب ج٣ ص٢٤٨، مادة صرد].

٦ ــ أحسن التقاسيم: ص٢٨٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يثبت عندهم شيء من الفواكه والبقول"[1]. ومن مظاهر ذلك ما حدث سنة ٢٩١هـ/٩٠٣م حيث "كانت الغلات بأصبهان سابقت الحصاد فأصابها صر[2] ذهب بها كلها، فحصدت خاوية لا حبَّ فيها"[3].

ولم تكن أضرار موجات البرد مقصورة على النباتات والأشجار فحسب، بل كثيراً ما كانت تصيب الإنسان ببعض الأمراض القاتلة مثلما حدث سنة ٢٤١هـ/٨٥٥م حين توالت على أهل سرخس ونيسابور وهمذان والري موجة برد أصابتهم بزكام شديد، وقتلت كثيراً منهم[4].

أما **موجات الحر** فقد كانت تتوالى على بعض بلاد فارس، وتترك أثاراً سيئة على البشر والحيوان والطير، يقول ابن حوقل عن هذه البلاد: "وأما الجروم (أي البلاد الحارة) فإن بها ما يبلغ من شدة الحر في الصيف الصائف ألَّا يثبت عندهم شيء من الطير لشدة الحر"[5]، وكان أهل زَرَنْج[6] يعانون من شدة حر هذه المدينة، ويتقون ذلك في القيظ بحفر سراديب يعيشون فيها[7].

---

١ ــ صورة الأرض ص٢٦٣.

٢ ــ الصِّر شدة البرد[ابن منظور: لسان العرب ج ٤ ص ٤٥٠ مادة صرر].

٣ ــ الأصفهاني: سني ملوك الأرض ص١٤٨.

٤ ــ ابن الأثير: الكامل ج٦ ص١٢٥.

٥ ــ صورة الأرض ص٢٦٤.

٦ ــ مدينة زرَنج هي قصبة كورة سجستان[ياقوت: معجم البلدان ج٣ ص١٣٨].

٧ ــ كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٥ــ الصواعق:

تعرضت هذه البلاد في بعض الأوقات لصواعق وشهب تسببت في حرائق أتت على الأخضر واليابس، وقتلت البشر والحيوانات، وأحرقت النباتات والأشجار مثلما حدث سنة ٢٤١هـ/٨٥٥م حيث أصاب أهل قومس "نار انحطت من السماء، فأحرقت خلقاً كثيراً"[١]، وفي شعبان سنة ٢٤٢هـ/٨٥٦م "نال أهل فارس.... شعاع ساطع ورهج أخذ بأكظام الناس، فمات الناس والبهائم، واحترقت الأشجار"[٢].

٦ــ الجفاف:

إذا كانت بلدان الخلافة الشرقية قد تعرضت لأخطار السيول والفيضانات وتدفق الأمطار وغزارتها وتساقط الثلوج وتراكمها فإنها تعرضت أيضاً لموجات من الجفاف[٣] تركت آثاراً سيئة في مختلف مناحي الحياة، ففي سنة١١٥هـ/٧٣٣م

---

١ ــ الأصفهاني: سني ملوك الأرض ص ١٤٦.

٢ ــ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٤٩١.

٣ ــ هناك تعريفات عدة للجفاف، التعريف الأول: يعني حدوث انخفاض في فعالية المطر وليس في كميته، والتعريف الثاني: يرتبط بمدى إمكانية كفاية المياه المتاحة لعمليات الري ومتطلبات المدن، وغيرها من الاستخدامات، ففي حالة عدم كفاية المياه لمثل هذه المتطلبات يعني هذا حدوث جفاف بالمنطقة، أما التعريف الثالث: فهو التعريف الزراعي، ويعني نقص في المياه التي تحتاجها المحاصيل خاصة، تلك المياه المرتبطة بالمطر في المناطق التي تسودها نظم الزراعة المطرية، والتعريف الرابع: تعريف اجتماعي اقتصادي، ويعني إبراز مدى تأثير نقص المياه على المجتمع من النواحي الاجتماعية والاقتصادية[د. محسوب، د. أرباب: الأخطار والكوارث الطبيعية، معالجة جغرافية ص ١١١، ١١٢].

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقع بخراسان قحط شديد، وشكا الناس قسوة الجوع[1]، كما أصابها القحط مرة أخرى سنة ٢١٤هـ/٨٢٩م[2].

وفي سنة ٢٨١هـ/٨٩٤م غارت المياه بالري وطبرستان حتى بلغ الماء ثلاثة أرطال بدرهم، وغلت الأسعار، وأكل الناس بعضهم بعضاً[3]، كما غارت المياه ببلاد الجبال وقم ونواحيها سنة ٣٤٦هـ/٩٥٧م[4]، وكذلك أصاب نيسابور ونواحيها قحط شديد سنة ٤٠١هـ/١٠١٠م أهلك كثيراً من الآدميين، وأكل الناس الجيف ولحوم بعضهم بعضاً من شدة الجوع[5].

وفي سنة ٤٣٨هـ/١٠٤٦م تعرضت قزوين ونواحيها لقحط شديد، فعز الخبز، وغلت أسعاره[6]، كما تعرضت سمرقند قبل سنة ٤٦٤هـ/١٠٧١م ببضعة أعوام لقحط شديد عانى منه أهلها كثيراً[7]، وفي سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م عم القحط بلاد خراسان وغيرها من بلاد الإسلام، وعزت الألبان واللحوم[8].

---

١ ــ الطبري: تاريخ الطبري ج ٤ ص ١٥٢، ابن الجوزي: المنتظم ج ٧ ص ١٦٤، ابن الأثير: الكامل ج ٤ ص ٤٠٩، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج١ ص ٢٧٥.

٢ ــ ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٤٩٢.

٣ ــ الطبري: تاريخ الطبري ج ٥ ص ٦٠٨، ابن الجوزي: المنتظم ج ٥ ص ١٤٧، ابن الأثير: الكامل ج ٦ ص ٣٧٨، الذهبي: سير أعلام النبلاء ج١٣ ص ٤٧٢، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج٣ ص ٨٦.

٤ ــ ابن الأثير: الكامل ج ٧ ص ٢٥٩.

٥ ــ الذهبي: سير أعلام النبلاء ج ١٥ ص ١٧٧.

٦ ــ ناصر خسرو: سفرنامه ص ٣٦.

٧ ــ الذهبي: سير أعلام النبلاء ج ١٢ ص ٤٦٩.

٨ ــ ابن الجوزي: المنتظم ج٩ ص ١٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٧ــ الجراد والقوارض والحشرات:

يعد انتشار الجراد والقوارض والحشرات من أشد الأخطار التي تسبب خسائر فادحة وبخاصة في الناحية الاقتصادية، كما سيبين البحث في موضعه.

فبالنسبة للجراد فإن خطورته تكمن في كونه آفة خطيرة تتميز بخصائص غير عادية تزيد من خطورتها ومن حجم الخسائر الناتجة عنها من أهمها قدرته على الطيران لمسافات بعيدة في أسراب ضخمة مع سرعة انتقاله وتحركه من مكان إلى آخر[١]، هذا بالإضافة إلى شراهته في الأكل، وقدرته على التفريق بين النباتات السامة والنباتاتَ الصالحة للأكل، كما يتميز بسرعة تكاثره في ظروف طبيعية متباينة[٢]، وتعد مناطق غرب الهند وإيران وخراسان من المناطق التي يتكاثر فيها الجراد في فصلي الربيع والصيف[٣].

فمن أوضح الأمثلة على أسراب الجراد التي هاجمت هذه البلاد ما كان سنة ٣٤٧هـ/٩٥٨م حيث هاجم الجراد قم والجبال، وطبق الدنيا، وأتى على جميع الغلات والأشجار[٤]، وفي سنة ٣٩٣هـ/١٠٠٢م ظهر جراد كثيف في شيراز اجتاح الأخضر واليابس، وأعقبه غلاء شديد[٥].

---

١ ــ قد يصل عدد أفراد السرب الواحد إلى أكثر من ألف مليون حشرة تغطي في المتوسط سحابة من الجراد تبلغ مساحتها عشرين كيلو متراً مربعاً، وقد تصل مسافة طيران السرب الواحد إلى أكثر من مائتين وعشرين كيلو متراً بدون توقف[د. محسوب، د. أرباب: الأخطار والكوارث، معالجة جغرافية ص ١٨٩].

٢ ــ السابق ص ١٨٨.

٣ ــ السابق ص ١٩٠، ١٩١.

٤ ــ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٣١٩.

٥ ــ ابن العبري: تاريخ الزمان ص ٧٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأما بالنسبة للقوارض والحشرات التي تتسبب في نقل الأمراض وإتلاف الغلات فلم تنج هذه البلاد منها ومن أضرارها، ففي سنة ٢٢٢هـ/٨٣٦م "ظهر في كورتي سرخس ومرو من الفأر ما لم يحط به الإحصاء، ولا أطاق الناس لدفعها حيلة، وبلغ من مضرتها أنها أتت على غلات تلك السنة في الكورتين معاً"[١]. وفي سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م "كثر القمل برستاق التَّيْمُرَة الكبرى[٢] حتى يئس الناس من غلات سنيهم، وهموا بالجلاء"[٣].

٨ـ المجاعات:

ونتيجة لموجات القحط وأخطار الجراد والقوارض والحشرات السابق ذكرها عصفت ببلدان الخلافة الشرقية كارثة أخرى هي المجاعات، ففي سنة ١١٥هـ/٧٣٣م أصاب الناس بخراسان مجاعة شديدة[٤]، وعادت المجاعات لتصيب العديد من المدن سنة ٢٠١هـ/٨١٦م حيث "أصاب أهل خراسان والري وأصبهان مجاعة، وعز الطعام"[٥]، وفي سنة ٢٨١هـ/٨٩٤م أكل الناس بعضهم بعضاً من شدة الجوع حين أصاب أهل طبرستان والري جفاف[٦]، وفي سنة

---

١ ـ الأصفهاني: سني ملوك الأرض ص ١٤٥.

٢ ـ التَّيْمُرَة من قرى أصبهان وهي قريتان التيمرة الصغرى والتيمرة الكبرى[ياقوت: معجم البلدان ج ٢ ص ٦٧].

٣ ـ الأصبهاني: سني ملوك الأرض ص ١٤٩.

٤ ـ الطبري: تاريخ الطبري ج ٤ ص ١٥٢.

٥ ـ السابق ج ٥ ص ١٣٩، ابن الجوزي: المنتظم ج١٠ ص ١٠٠، ابن الأثير: الكامل ج٥ ص ٤٤٠.

٦ ـ ابن الجوزي: المنتظم ج ٥ ص ١٤٧، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٨٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٣٢٣هـ/٩٣٤م أصابت أهل خراسان مجاعة أودت بحياة كثير من أهلها والوافدين إليها[١].

وفي سنة ٤٠٠هـ/١٠٠٩م بلغت المجاعة بأهل خراسان مبلغاً عظيماً "حتى بيع رطل الخبز بدينار ذهباً، وأكل الناس الكلاب والخنافس، ثم أجهزوا على الرضعان والفتيان، وعلى كل من كانوا يرونه سميناً بادياً فيقتلونه ويلتقمونه"[٢]، واستمرت المجاعة إلى السنة التالية ٤٠١هـ/١٠١٠م حيث عُدِم القوت بخراسان، "حتى أكل الناس بعضهم بعضاً، فكان الإنسان يصيح: الخبزَ الخبزَ ويموت"[٣]، وفي السنة نفسها كانت المجاعة بنيسابور ونواحيها حتى هلك كثير من أهلها[٤]، كذلك أصاب أهل أذْرَبِيجان[٥] مجاعة سنة ٤٤٩هـ/١٠٥٧م، أودت بحياة كثيرين[٦]، وفي سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٨م كان في خراسان مجاعة وغلاء شديد، "تعذرت فيه الأقوات، ودام سنيين"[٧].

وإذا كانت المجاعات السابق ذكرها ترجع في معظمها لموجات الجفاف والقحط التي ألمت بهذه المنطقة من العالم الإسلامي **فإن هناك نوعاً من المجاعات**

---

١ ــ الأصفهاني: سني ملوك الأرض ص ١٤٩، ابن الأثير: الكامل ج ٧ ص ١١٦، ابن العماد: شذرات الذهب ج ١ ص ٣٠٠، وفيه أن ذلك كان سنة ٣٢٤هـ/٩٣٥م.

٢ ــ ابن العبري: تاريخ الزمان ص ٧٧.

٣ ــ ابن الأثير: الكامل ج ٨ ص ٦٥.

٤ ــ الذهبي: سير أعلام النبلاء ج١٥ ص ١٧٧.

٥ ــ إقليم واسع حده من برذعة مشرقاً إلى أرزنجان مغرباً، ويتصل حده من جهة الشمال ببلاد الديلم والجبل، ومن مشهور مدنه تبريز[ياقوت: معجم البلدان ج١ ص ١٢٨].

٦ ــ ابن الجوزي: المنتظم ج ٨ ص ١٧٩، ١٨٠.

٧ ــ ابن الأثير: الكامل ج٩ ص ٢٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المصطنعة الناتجة عن استغلال بعض عمال الحكام لنفوذهم، واحتكارهم للقمح والدقيق، مما أدّى إلى حدوث أزمة في الخبز مثلما حدث في مدينة غَزْنِين[1] في عهد السلطان إبراهيم بن مسعود (ت ٤٨١هـ/١٠٨٨م)[2] حين احتكر خبازه كل ما يرد إلى مدينة غزنة من قمح ودقيق مدعياً أنّ ذلك بأمر من السلطان، ولم يجد الخبازون شيئاً من القمح والدقيق، فأغلقوا مخابزهم، فعز الخبز في المدينة، وضج أهلها وبخاصة الفقراء والغرباء، وشكوا ذلك للسلطان إبراهيم الذي اتخذ إجراءات حاسمة ــ كما سيبين البحث في موضعه ــ لمنع حدوث مثل هذه الأزمات المصطنعة مستقبلاً[3].

٩ــ الأوبئة[4]:

اجتاحت بلدان الخلافة الشرقية في الفترة موضوع البحث مجموعة من الأوبئة المتنوعة، وقد ارتبط انتشارها أحياناً وترتب على ظهور أخطار وكوارث أخرى، فالوباء الذي أصاب أذربيجان وأعمالها، وطبق الأرض سنة ٤٤٩هـ/١٠٥٧م كان سببه المجاعة التي اضطرت الناس إلى أكل أطعمة فاسدة

---

١ ــ وتُسمَّى أيضاً غَزْنة، وهي مدينة عظيمة وولاية واسعة في طرف خراسان، وهي الحد بين خراسان والهند [ياقوت: معجم البلدان ج٤ ص ٢٠١، ٢٠٢].

٢ ــ هو السلطان إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سُبُكْتِكين صاحب غزنة، كان ذا عقل ودين ورأي متين، توفي في التاريخ المذكور أعلاه[ابن الأثير: الكامل ج٨ ص ٤٥٥، ٤٥٦].

٣ ــ نظام الملك: سياسة نامه ص٨٢.

٤ ــ الوباء حسب ما تعرفه منظمة الصحة العالمية هو تفشي المرض بأسلوب غير متوقع، ويستدعي الاستنفار، وفي هذه الحالة يصبح الوباء كارثة، وبخاصة إذا حدث تهديد بانتشاره في كل أنحاء العالم[د.محسوب، د. أرباب: الأخطار والكوارث، معالجة جغرافية ص١٩٥].

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لا تصلح للآدميين، مما أدي إلى تفشي الأمراض، يقول ابن الجوزي في أحداث هذه السنة: "وجاء الخبر من أذربيجان وتلك الأعمال بالوباء العظيم وأنه لم يسلم إلا العدد القليل، ووقع الوباء بالأهواز وأعماله وبواسط..... **وكان أكثر سبب ذلك الجوع، وكان الفقراء يشوون الكلاب، وينبشون القبور فيشوون الموتى ويأكلونها**"[1].

كما تؤدي بعض الكوارث الطبيعية إلى إطلاق عقال كثير من الأمراض بحيث تتحول بدورها إلى كوارث تضاعف من حدة الكارثة الأصلية، فالفيضانات يصاحبها انتشار حالات الكوليرا، كما أنها تعمل على زيادة حركة الفئران وغيرها من القوارض الناقلة للأمراض وخروجها من مخابئها التقليدية، كما لوحظ أن حالات الملاريا والتيفود تزداد عقب الزلازل الشديدة[2].

ولما كانت هذه البلاد قد تعرضت لكثير من الزلازل والفيضانات وانتشرت فيها بعض القوارض والحشرات الناقلة للأمراض فقد أصابتها نتيجة لذلك ولأسباب أخرى كثير من الأمراض والأوبئة ففي سنة ٢٥٨هـ/٨٧١م انتشر وباء في عسكر مُكْرَم[3]، وانتقل منها إلى الأهواز وغيرها من البلاد المجاورة، فأهلك بشراً كثيراً[4]، وفي سنة ٢٨٢هـ/٨٩٥م تفشى الوباء بأذربيجان، وبلغ من كثرة الموتى أن فقد الناس ما يكفنون به موتاهم، ومن يتولى دفنهم، فكانوا يتركونهم

---

١ ــ المنتظم: ج٨ ص ١٧٩، ١٨٠.

٢ ــ د.محسوب، د. أرباب: الأخطار والكوارث، معالجة جغرافية ص١٩٥، ١٩٦.

٣ ــ بلد مشهور من نواحي خوزستان[ياقوت: معجم البلدان ج ٤ ص ١٢٣].

٤ ــ الأصبهاني: سني ملوك الأرض ص ١٤٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مطروحين في الطرق[1]، وفي سنة ٣٢٣هـ/٩٣٤م كان الوباء العظيم بأصبهان[2]، كما أصاب إقليم خراسان والجبال وباء مماثل سنة ٣٤٣هـ/٩٥٤م، هلك فيه خلق كثير[3]، وفي سنة ٣٤٤هـ/٩٥٥م "وقع وباء عظيم بالري، وكان أبو علي بن محتاج[4] صاحب خراسان قد نزلها فمات فِي الوباء"[5]. وفي السنة نفسها أصاب أهل أصبهان "في ابتداء المحرم علة مركبة من الدم والصفراء، فشملت الناس..... الرجال والنساء، فكان مكثها ما بين يومين إلى سبعة أو عشرة أيام، وربما عم في دار سكانها فوق عشرين حتى يأتي على عامة من فيها..... وتعدت إلى سائر كور فارس"[6]. وفي سنة ٣٤٧هـ/٩٥٨م كان ببلاد الجبل وباء

---

١ ــ الطبري: تاريخ الطبري ج ٥ ص ٦٣٦، ابن الجوزي: المنتظم ج ٦ ص ٢٧، ابن الأثير: الكامل ج ٦ ص ٤٠٧، ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص ١٥١، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٢٣، ١٢٤، ابن العماد: شذرات الذهب ج ١ ص ١٩٥.

٢ ــ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٥٨.

٣ ــ ابن الأثير: الكامل ج ٧ ص ٢٥٠.

٤ ــ هو أبو علي أحمد بن أبي بكر محمد بن المظفر بن محتاج، استعمله الأمير السعيد نصر بن أحمد بن إسماعيل الساماني (٢٩٣ ــ ٣٣١هـ/٩٠٥ ــ ٩٤٣م) على خراسان سنة ٣٢٧هـ/٩٣٨م خلفاً لأبيه أبي بكر محمد الذي كان قد مرض مرضاً مزمناً[ابن الأثير: الكامل ج ٧ ص ١٤٥].

٥ ــ السابق ج ٧ ص ٢٥٣، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٣١٣، ابن العماد: شذرات الذهب ج ١ ص ٣٦٦.

٦ ــ الأصبهاني: سني ملوك الأرض ص ١٥٠، وانظر ابن الجوزي: المنتظم ج ٦ ص ٣٧٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عظيم مات فيه كثيرون، حتى تعذر على الناس عيادة المرضى وشهود الجنائز لكثرتها[1].

وفي سنة ٤٠١هـ/١٠١٠م أصاب أهل خراسان وباء عظيم أودى بحياة كثيرين، حتى عجز الناس عن دفن الموتى[2]، وفي سنة ٤٢٣هـ/١٠٣١م عم الطاعون والوباء بلاد الهند وغزنة وكثيراً من أعمال خراسان وجرجان والري وأصبهان ونواحي الجبل، وزاد ذلك عن مجاري العادة، وهلك كثيرون من أهل هذه البلاد[3]، وفي سنة ٤٢٥هـ/١٠٣٣م انتشر الوباء في خوزستان وغيرها من البلاد حتى كانت الدار يُسد بابها لموت أهلها[4]. كما انتشر الطاعون في بلاد فارس وخراسان وما وراء النهر سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م، فأفنى مئات الآلاف من أهلها[5]، واستمر الوباء في هذه البلاد خلال السنة التالية يحصد أرواح الناس والحيوان، وأُصيبتْ مظاهر الحياة بشلل شبه تام، يقول ابن الجوزي في أحداث سنة٤٤٩هـ/١٠٥٧م: "في جمادى الآخرة ورد كتاب من تجار ما وراء النهر قد وقع في هذه الديار وباء عظيم مسرف زائد عن الحد حتى إنه خرج من هذا الإقليم في يوم واحد ثمانية عشر ألف جنازة، وأحصي من مات إلى أن كتب هذا الكتاب فكانوا ألف ألف وستمائة ألف وخمسين ألف، والناس يمرون في هذه البلاد فلا يرون إلا أسواقاً فارغة وطرقات خالية وأبواباً مغلقة حتى إن البقر

---

١ ــ ابن الأثير: الكامل ج ٧ ص٢٦٢.

٢ ــ السابق ج ٨ ص ٦٥.

٣ ــ ابن الجوزي: المنتظم ج ٨ ص ٦٩، ابن العبري: تاريخ الزمان ص٨٥، الذهبي: سير أعلام النبلاء ج ١٧ ص٤٩٦.

٤ ــ ابن الأثير: الكامل ج ٨ ص ٢٨٢.

٥ ــ ابن الجوزي: المنتظم ج ٨ ص ١٧١، ابن العبري: تاريخ الزمان ص ١٠٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تفقت، وجاء الخبر من أذربيجان وتلك الأعمال بالوباء العظيم، وأنه لم يسلم إلا العدد القليل..... وطويت التجارات وأمور الدنيا"[1].

وفي سنة ٤٦٤هـ/١٠٧١م فتك الوباء بالحيوانات، حتى إن راعياً في بعض طريق خراسان قام عند الصباح إلى غنمه ليسوقها فوجدها موتى، فتعذر اللحم وغلت الأسعار[2]، وفي سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٤م وقع الوباء في طريق خراسان وخوزستان[3]. وتفشى في بلاد العجم عموماً وخراسان خصوصاً سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م مرض الصفراء والوباء الذي فتك بكثير من أهلها، "وأقفرت من السكان قرى كثيرة. وكان إذا وقف الشخص هنيهة أخذته القشعريرة، فسقط ميتاً، ولم يمهل الداء فتكه بكائن من كان أكثر من ستة أيام"[4]، ثم أصاب الأطفال مرض الجدري، وأعقب ذلك موت الوحوش في البرية، وتلاه موت الدواب والمواشي، ثم أصاب الناس بعد ذلك الأورام وأمراض الطحال وغيرها[5]. وفي سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٨م لحق الناس بخراسان وباء جارف، فمات منهم خلق كثير عجزوا عن دفنهم لكثرتهم[6].

---

١ ــ المنتظم ج ٨ ص ١٧٩، ١٨٠، وانظر ابن الأثير: الكامل ج ٨ ص ٣٣٩، ابن العماد: شذرات الذهب ج ٢ ص ٢٧٩.

٢ــ المنتظم ج ٨ ص ٢٧٣.

٣ ــ ابن الجوزي: المنتظم ج ٨ ص ٢٩٠.

٤ ــ ابن العبري: تاريخ الزمان ص ١٩١.

٥ ــ ابن الجوزي: المنتظم ج ٩ ص ١٤، ١٥.

٦ ــ ابن الأثير: الكامل ج ٩ ص ٢٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الثاني

النتائج والآثار الناتجة عن الأخطار والكوارث

من خلال العرض السابق للأخطار والكوارث التي أصـابت بلـدان الخلافـة الشرقية خلال الفترة موضوع البحث ندرك أنها كانت كثيرة ومتنوعة، ولا شك أن الخسائر الناتجة عنها كانت كثيرة ومتنوعة أيضاً، وأنها شملت مناحي الحياة كلها كما سيتضح خلال هذا المبحث، ولكن قبل الحديث عن هذه النتائج والآثار وأنواعها ينبغي الإشارة إلى بعض **العوامل التي تساعد علـى ازديـاد حجـم الخسائر والآثار، والتي من أهمها:**

١ــ نوعية المباني:

لاشك في أن نوعية المباني وطبيعة التربة المقامة عليها تلعبان دوراً كبيراً في التخفيف من حجم الكارثة أو زيادته، وبخاصة في الأماكن المعرضة لموجـات من الزلازل أو الفيضانات، فالمباني المقامة فوق تربة متماسـكة تكـون أكثـر مقاومة وصموداً من المباني المقامة فوق تربة هشة[١]، كما أن المباني الحجريـة أو الجبسية تكون أشد صلابة من المباني الطينية والخشبية.

وإذا ما نظرنا إلى المدن التي تساقطت أبنيتها نتيجة للزلازل أو الفيضانات نجد أنها في الأعم الأغلب مبنية من الطين أو الطين والخشب، أو أنها مبينـة فـوق

---

١ ــ لقد أثبتت الدراسات المتقدمة في مجال الزلازل أن التأثير التدميري لمنشآت أقيمت فوق رواسب ساحلية يبلغ نحو ثمانية أمثال ما يحدث لمنشآت أقيمت فوق صـخور أسـاس متماسكة، وذلك إذا ما تعرضتا معاً لزلزال بنفس القوة[د.محسوب، د. أرباب: الأخطار والكوارث، معالجة جغرافية ص٥٦].

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رواسب طينية فيضية أو فوق رواسب سبخات ملحية مما يجعلها أقل تماسكا، فحين زلزلت مدينة بلخ ضمن ما زلزل من بلاد خراسان سنة ٢٠٣هـ/٨١٨م تهدمت دورها[١]، لأن سورها وأبنيتها من طين[٢]، وكذلك مدينة الأنبار كانت أبنيتها من الطين[٣]، ومن ثم فإنها حين اجتاحها فيضان سنة ٣٢٨هـ/٩٣٩م تهدمت جميع أبنيتها[٤]، وحين زلزلت مدينة هراة سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م سقطت مبانيها وتهدمت دورها[٥]، لأن بناءها من طين[٦]. وقد أسفرت انهيارات تلك الأبنية ـ كما سيبين البحث ـ عن خسائر بشرية واجتماعية ومعمارية كبيرة.

وأما المدن التي كانت مبانيها حجرية أو جبسية فإن ذلك كان يخفف من شدة تأثرها بالزلازل والفيضانات، فبلدة بوشَنْج[٧] القريبة من هراة، لم تذكر المصادر أنها تأثرت بالزلازل مثل هراة بسبب نوعية مبانيها، يقول ابن حوقل: "وأما بوشنج..... بناؤهم من جبس، وليس كبناء هراة"[٨].

---

١ ـ ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٤٥١.

٢ ـ ابن حوقل: صورة الأرض ص ٣٧٣.

٣ ـ ياقوت: معجم البلدان ج ١ ص ٢٥٧.

٤ ـ ابن العماد: شذرات الذهب ج ١ ص ٣٠١.

٥ ـ السابق ج ١ص ٨٠.

٦ ـ ابن حوقل: صورة الأرض ص ٣٦٦. وهكذا نجد أن معظم المدن التي تهدمت مبانيها نتيجة للفيضانات أو الهزات الأرضية والزلازل كانت مبانيها من طين أو أنها أقيمت في تربة سبخات ملحية هشة، مثل نيسابور ومرو وسرخس وسمرقند وجرجان وغيرها من المدن[انظر ابن حوقل: صورة الأرض ص ٣٢٤، ٣٦١، ٣٦٤، ٣٧٢، ٤٠٧].

٧ ـ بلدة صغيرة في واد مشجر من نواحي هراة، بينهما عشرة فراسخ[ياقوت: معجم البلدان ج١ ص ٥٠٨].

٨ ـ ابن حوقل: صورة الأرض ص ٣٦٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢ــ سوء التخطيط وعدم اختيار الأماكن المناسبة لإنشاء المدن:

يعد سوء التخطيط وعدم اختيار الأماكن المناسبة لإنشاء المدن من العوامل التي تزيد من حجم الخسائر الناتجة عن الأخطار والكوارث، وكان من مظاهر ذلك إنشاء المدن في مجرى الوديان أو قريباً من الأنهار التي تفيض مياهها وتطغى طغياناً يدمر ما قرب منه من المباني والمنشآت، وخير شاهد على ذلك مدينة كاث التي خربها وقلعتها طغيان نهر جيحون في المائة الرابعة للهجرة، حيث كان عرض النهر عندها نحواً من فرسخين، وكانت المدينة تبعد قليلاً عن يمين النهر، كما خرب طغيان النهر المسجد الجامع وقصر السلطان وغير ذلك من المنشآت القريبة من مجراه، فلم يُبْقِ منها رسماً ولا طللاً[١].

٣ــ عدم وجود رؤية واضحة لإدارة الأزمات ومواجهة الآثار الناتجة عن الكوارث والأخطار:

إن كثيراً من الحكومات التي قامت في هذه المنطقة خلال الفترة موضوع البحث[٢] لم يكن لديها رؤية واضحة لإدارة الأزمات التي تتعرض لها البلاد

---

١ ــ السابق ص ٣٩٥، كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٨٩، ٤٩٠.

٢ ــ قامت في بلدان الخلافة الشرقية خلال الفترة موضوع البحث مجموعة من الدول المستقلة منها الدولة الطاهرية في خراسان (٢٠٥ ــ ٢٥٩هـ/٨٢١ ــ ٨٧٣م) والدولة الزيدية في طبرستان (٢٥٠ــ٣١٦هـ/٨٦٤ ــ ٩٢٨م) والدولة الصفارية في إيران (٢٥٤ ــ ٢٩٦هـ/٨٦٨ ــ ٩٠٨م) والدولة السامانية في إيران وما وراء النهر (٢٦١ ــ ٣٨٩هـ/٨٧٤ ــ ٩٩٩م) والدولة الزيارية في جرجان (٣١٦ ــ ٤٧٠هـ/ ٩٢٨ ــ ١٠٧٧م) وبنو بويه في جنوب إيران وفي العراق (٣٢٠ ــ ٤٤٧هـ/٩٣٢ ــ ١٠٥٥م) ودولة الإيلك خانات (خاقانات تركستان) في تركستان (٣٢٠ ــ ٦٠٩هـ/٩٣٢ ــ ١٢١٢م) والسلاجقة في خراسان (٤٣٢ ــ٥٥٢هـ/١٠٤٠ ــ ١١٥٧م) والدولة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبخاصة الآثار والأضرار الناتجة عن الكوارث والأخطـــار، ولعـــل انـــشغالها بالصراعات الداخلية والصراعات السياسية والمذهبية ضـــد بعـــضها بعـــضاً، بالإضافة إلى جهود بعضها في الفتوحات الإسلامية في هذه الجهات[1]، لعل هـــذا وذاك قد أثر على قدرة هذه الدول على مواجهة الآثار التي أصابتها جراء هـــذه الأخطار والكوارث، وجعلها في كثير من الأوقات تقف مكتوفة الأيدي عن إيجاد حلول للتغلب على هذه الآثار والتخفيف منها، وكان من مظاهر ذلك عدم توفير الاحتياجات اللازمة لتجهيز الأموات الذين لقوا حتفهم نتيجـــة هـــذه الأخطـــار والكوارث، بل أحياناً كانت إمكانية القيام بدفن هؤلاء غير متاحة[2]، هذا بالإضافة إلى عدم اتخاذ الإجراءات للقضاء على مسببات هذه الكوارث التي يمكن القضاء عليها، حيث لم تستطع الحكومـــات ورعاياهـــا أن تقـــضي علـــى القـــوارض والحشرات الضارة التي سببت خسائر فادحة، فحين ظهرت الفئران في كورتي

=الغزنوية في الهند وخراسان (٣٥١ ــ ٥٨٢هـــ/ ٩٦٢ ــ ١١٨٦م) وغيرهـــا مـــن الدول[انظر: د. أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ج ١ ص ٢٦٥ ــ ٣٣٤، طبعة دار المعارف، القاهرة١٩٧٢م، د. عبد الغني عبـــد الفتـــاح زهرة، د. نورة محمد التويجري: الدول الإسلامية في أسيا ص ٢١ ــ ٢٠٣، ط١ مكتبة الرشد، الرياض ١٤٣٠هـــ].

[1] ــ حول المشكلات الداخلية التي عانت منها هذه الدول، وما دار بينها وبين بعـــضها مـــن صراعات سياسية ومذهبية، وكذلك ما قامت به من جهود في الفتوحات الإسلامية فـــي الجناح الشرقي من الدولة الإسلامية، حول هذا كله انظر د. علي بن صالح المحيميـــد: دراســـات فـــي تـــاريخ المـــشرق الإســـلامي ص ٩ ــ ٢٣١، ط١ الريـــاض ١٤١٤هـــ/١٩٩٣م.

[2] ــ ابن الأثير: الكامل ج ٧ ص ١١٦، ٤٠٧، ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص١٥١، ابن العماد: شذرات الذهب ج ١ ص ١٩٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سرخس ومرو سنة ٢٢٢هـ/٨٣٦م لم يجد الحكام ولا المحكومون لدفعها حيلة، فكانت النتيجة أن قضت على غلات تلك السنة في الكورتين، ولم يخلصهم منها سوى العناية الإلهية حيث "تفانت بوقوع الموتان فيها"[١] بعد أن عجز الحكام والمحكومون عن مواجهتها، وإيجاد وسائل للقضاء عليها. وحين هاجمت أسراب القمل الحقول في التيمرة الكبرى إحدى قرى أصفهان حتى يئس الناس من غلات سنيهم، لم ينقذهم من هذا البلاء سوي تسليط الله نوعاً من الطير على القمل فأخذ يلتقطه إلى أن قضى عليه[٢]، دون أن يبذل أحد جهداً للقضاء على هذه الآفة.

ولعلنا نجد للحكومات القائمة في هذه المنطقة آنذاك بعض العذر حيث لم يكن التقدم العلمي قد توصل - كما هو الآن[٣] - إلى الوسائل المعينة التي تساعد على

---

١ ــ الأصبهاني: سني ملوك الأرض ص ١٤٥.

٢ ــ السابق ص ١٤٩، ١٥٠.

٣ ــ فبالإضافة إلى التقدم الطبي هناك جهود تبذل حالياً لمواجهة أخطار الزلازل والحد من الخسائر الناتجة عنها، حيث يأخذ ذلك اتجاهين يتمثل أحدهما في تلك الجهود المبذولة من جانب العلماء والمتخصصين في تحديد مناطق الأخطار الزلزالية ومحاولتهم وضع نظام لتوقع حدوثها ولو على المدى القريب، وذلك بهدف تقليل الخسائر، أما ثاني الاتجاهين فيتمثل في التخطيط الصحيح للاستخدام العمراني، وغير ذلك من استخدامات في المناطق المعرضة للزلازل، وقد يتمثل ذلك في إعادة تخطيط المناطق التي تعرضت بالفعل للزلازل، وشهدت أشكالاً من التدمير وإزهاق الأرواح[د.محسوب، د. أرباب: الأخطار والكوارث، معالجة جغرافية ص٧٦] وهو ما لم يكن متوفراً في الفترة موضوع البحث.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التنبؤ بحدوث بعض الكوارث في المستقبل[1]، ومن ثم التهيؤ لمواجهتها والعمل على منع الخسائر الناتجة عنها أو التقليل منها، كما أن سبل الوقاية والعلاج والقضاء على ناقلات المرض كالناموس والذباب، وكذلك القوارض التي لم يقتصر دورها على نقل المرض، بل تصيب الغلات بأضرار كبيره، أقول إن هذه السبل لم تكن قد وصلت إلى قدر من التقدم يمكن الحكومات آنذاك من مواجهة هذه الآفات والحشرات، وما تسببه من أضرار. هذا بالإضافة إلى أن إمكانية الوصول للمناطق المنكوبة والقيام بعمليات الإنقاذ وتقديم خدمات الإغاثة كان يستغرق آنذاك وقتاً طويلاً نظراً لضعف إمكانات وسائل النقل والمواصلات وقلة الإمدادات اللازمة.

٤ـ مظالم الحكام ومعاصي العباد:

إن من أهم ثمرات دراسة التاريخ أن ندرك أن لله تعالى في الكون سنناً لا تتغير ولا تتبدل، وقد دلنا الله تعالى عليها وطلب منا التعامل معها فقال تعالى (قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) [2]، وقال تعالى (سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ) [3].

---

١ ـ قد تمكنت بعض الحكومات في هذه المنطقة خلال الفترة موضوع البحث من إيجاد وسائل للتنبؤ ـ كما سيأتي بيانه ـ بحدوث فيضان، وكذلك مواجهة الرمال المتحركة، وكذا مواجهة بعض الأمراض، لكنها في الأعم الأغلب وقفت مكتوفة الأيدي أمام مواجهة الزلازل وما نجم عنها من خسائر، وكذلك الأوبئة التي حصدت كثيراً من أرواح البشر والحيوان وغير ذلك من الأخطار والكوارث التي سبق ذكرها.

٢ - سورة آل عمران، آية: ١٣٧.

٣ ـ سورة غافر، آية ٨٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن هذه السنن أن مظالم الحكام ومعاصي العباد تستجلب غضب الله، فيسلط جنده على هؤلاء، يقول تعالى (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) [1]، ويقول تعالى (إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ) [2].

ومن مظاهر مظالم الحكام والقادة التي عاقب الله مرتكبيها أن يعقوب بن الليث الصفار [3] (٢٤٧ـ ٢٦٥هـ/٨٦١ ـ ٨٧٨م) في حروبه التي خاضها ضد الحسن بن زيد العلوي [4] (٢٥٠ ـ ٢٧٠هـ/٨٦٤ ـ ٨٨٣م) دخل جرجان سنة ٢٦١هـ/٨٧٤م "فظلم وعسف، فجاءت زلزلة قتلت من جنده ألفين" [1].

---

١ ـ سورة الروم، آية ٤١.

٢ ـ سورة الرعد، آية: ١١.

٣ ـ هو أبو يوسف يعقوب بن الليث الصفار مؤسس الدولة الصفارية، وأحد الأمراء الدهاة، كان في صغره صفاراً ثم تطوع في قتال الشراة، وأخذ نجمه في الظهور، وأطاعه أصحابه واشتدت شوكته، فغلب على سجستان سنة ٢٤٧هـ/٨٦١م، ثم ملك هراة وبوشنج، كما ملك كرمان وشيراز واستولى على فارس، ثم دخل نيسابور سنة ٢٥٩هـ/٨٧٢م، وقبض على أميرها محمد بن طاهر آخر أمراء الدولة الطاهرية، وتم له ملك خراسان وفارس، وتوفي سنة ٢٦٥هـ/٨٧٨م[ابن الأثير: الكامل ج ٦ ص ١٩٣، ١٩٧، ١٩٨، ٢٣٢، ٢٤٤، ٢٤٦٧، ٢٦٦، ابن خلكان (أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر ت٦٨١هـ/١٢٨٢م): وفيات الأعيان وأنباء الزمان ج ٦ ص ٤٠٢ ـ ٤٢٠، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ١٩٦٨م، الذهبي: سير أعلام النبلاء ج ١٢ ص ٥١٣ ـ ٥١٥، الزركلي (خير الدين): الأعلام ج ٨ ص ٢٠١، ٢٠٢، ط٦ دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٤م].

٤ ـ هو الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل الحسني العلوي، مؤسس الدولة العلوية الزيدية في طبرستان، وكانت مدة إمارته عشرين عاماً قضاها في حروب ومعارك، وكان

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أما معاصي العباد التي جلبت عليهم وعلى بلادهم العقاب من الله تعالى فخير شاهد عليها ما حدث **لأهل مرو** سنة ١١٥هـ/٧٣٣م حين أصابهم قحط شديد ومجاعة، وبلغ ذلك والي خراسان الجنيد بن عبد الرحمن[٢] أرجع ذلك إلى كفر أهلها لنعم الله تعالى حيث كتب إلى البلاد التابعةُ لولايته يقول: "**إن مرو كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله**"[٣].

وأما **سيراف** فقد دمرتها الزلازل سنة ٣٦٧هـ/٩٧٧م فهدمت دورها وقتلت كثيراً من أهلها وشردت آخرين، وذلك بسبب مجاهرتهم بالمعاصي يقول الرحالة المقدسي وهو شاهد عيان: "ثم جاءت زلزلة..... فقلقلتها وحركتها سبعة أيام حتى هرب الناس إلى البحر، وتهدم أكثر هذه الدور، وتفطرت وصارت آية لمن تأملها وعبرة لمن اتعظ بها. **وسألتهم ما الذي صنعتم حتى رفع الله حلمه عنكم. قالوا: كثر فينا الزنا، وفشا فينا الربا، قلت: فهل اعتبرتم بما أرى، قالوا: لا**"[٤].

=فاضلاً مرهوب الجانب، توفي سنة ٢٧٠هـ/٨٨٤م[ابن الأثير: الكامل ج ٦/١٥٨، الزركلي (خير الدين): الأعلام ج ٢ ص١٩١، ١٩٢].

[١] ــ الذهبي: سير أعلام النبلاء ج ١٢ ص ٥١٤، وانظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٦ ص ٤١٢.

[٢] ــ هو والي خراسان من قبل الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك (١٠٥ ــ ١٢٥هـ/٧٢٣ ــ٧٤٢م) حيث ولاه إياها سنة١١٢هـ/٧٣٠م، وخاض عدة حروب ضد الترك، وانتصر عليهم، وقضى على الخارجين على سلطان الخلافة بخراسان وفي مقدمتهم الحارث بن شريح الخارجي، وتوفي سنة ١١٦هـ/٧٣٤م[الكرديزي: زين الأخبار ج ١ ص ١٨٥].

[٣] ــ الطبري: تاريخ الطبري ج ٤ ص١٥٢.

[٤] ــ أحسن التقاسيم ص ٢٨٤، ٢٨٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٥ــ الصراعات والحروب:

من العوامل التي كانت سبباً في إحداث بعض الأزمات والأخطار تلك المعارك والحروب التي دارت رحاها بين الكيانات السياسية القائمة في تلك المنطقة، ففي سنة ٣٨٨هـ/٩٩٨م حاصرت قوات مجد الدولة البويهي[١] (٣٨٧ ـ ٤٢٠هـ/٩٩٧ ـ ١٠٢٩م) قوات شمس المعالي قابوس بن وشمكير بن زيار[٢] (٣٦٦ ـ ٤٠٣هـ/٩٧٦ ـ ١٠١٢م) في الري، فغلت الأسعار بالبلد، وضاقت الأمور على من بها[٣].

---

١ ــ هو أبو طالب رستم بن فخر الدولة علي بن ركن الدولة أبي علي الحسن بن بويه، تولى أمر البويهيين بعد وفاة والده، وعمره أربع سنين، وكان المرجع إلى أمه في تدبير الملك، ويصدرون عن أمرها[ابن الأثير: الكامل ج ٧ ص ٤٨٩، الذهبي: سير أعلام النبلاء ج ١٦ ص ٥٠١، ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص ١٧٨].

٢ ــ هو شمس المعالي أبو الحسن قابوس بن وشمكير بن زيار بن وردان شاه الجيلي أمير جرجان وبلاد الجبل وطبرستان، وليها سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م، وأخرجه منها عضد الدولة البويهي سنة ٣٧١هـ/٩٨١م، ثم استعادها قابوس سنة ٣٨٨هـ/٩٩٨م، واشتد في معاقبة من خذلوه في حربه ضد عضد الدولة البويهي، فنفر منه شعبه، وثاروا عليه وخلعوه سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م، وولّوا بعده ابنه أبا منصور منوجهر، وأقام قابوس في إحدى القلاع إلى أن مات سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م، ودفن بظاهر جرجان. وهو ديلمي الأصل، وكان نابغة في الأدب والإنشاء[ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٥٩، ج ٤ ص ٧٩ ــ ٨٢، الزركلي: الأعلام ج ٥ ص ١٧٠، د. أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ج ١ ص ٢٨٣].

٣ ــ ابن الأثير: الكامل ج ٧ ص ٤٩٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفي سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م استولى القائد الديلمي فولاذ[١] على مدينة شيراز من البويهيين، فسارت إليها القوات البويهية بقيادة اثنين من أبناء البيت البويهي هما أبو منصور وأبو سعد أخوا الملك الرحيم[٢] (٤٤٠ ـ ٤٤٧هـ/١٠٤٨ ـ ١٠٥٥م) وحاصرتها "وطال الحصار إلى أن عُدم القوت بها، وبلغ السعر سبعة أرطال حنطة بدينار، ومات أهلها جوعاً"[٣].

هذه مجموعة من الأسباب التي أدت إلى ازدياد الخسائر والآثار الناتجة عن الكوارث والأخطار، **وفيما يلي يدور الحديث عن هذه الخسائر والنتائج والآثار التي نجمت عن هذه الكوارث والأخطار، وشملت شتى مناحي الحياة، ومن أهمها:**

أولاً: الخسائر البشرية:

حصدت الأخطار والكوارث التي أصابت بلدان الخلافة الشرقية خلال الفترة موضوع البحث كثيراً من أرواح ساكنيها والوافدين إليها الأمر الذي أثر بلا شك على شتى مناحي الحياة، إذ إن الإنسان هو حجر الأساس في أية نهضة، ومما

---

١ ـ هو صاحب قلعة اصطخر وأحد القواد الديالمة الكبار[ابن الأثير: الكامل ج ٨ ص ٣٢٠].

٢ ـ هو أبو نصر خسرو فيروز ابن الملك أبي كاليجار ابن الملك سلطان الدولة ابن بهاء الدولة ابن عضد الدولة ابن ركن الدولة ابن بويه، كان خاتمة ملوك بني بويه الديالمة، تولى الأمر بعد وفاة والده سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٨م، ودام ملكه سبع سنين إلى أن انتزعه منه السلطان طغرلبك السلجوقي وقبض عليه وسجنه بقلعة الري إلى أن توفي في محبسه سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م[الذهبي: سير أعلام النبلاء ج ١٧ ص ٦٣١، ج ١٨ص ١٢٠].

٣ ـ ابن الأثير: الكامل ج ٨ ص ٣٢٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لاشك فيه أن هؤلاء الذين لقوا حتفهم جراء هذه الأخطار والكوارث ينتمون إلى بيئات اجتماعية وعلمية وحرفية وعسكرية وغير ذلك، ويمثلون نماذج مختلفة في مجتمعاتهم مما يعني أن فقدهم قد أثر بالسلب على الميادين التي برعوا فيها.

ففي سنة ١٢٣هـ/٧٤٠م مات تحت الهدم على أثر الزلازل التي أصابت فرغانة خمسة عشر ألفاً من ساكنيها[١]، وفي سنة ٢٠١هـ/٨١٦م مات كثير من أهل خراسان والري وأصبهان جراء المجاعة التي أصابتها[٢]، وحين ضربت الزلازل خراسان سنة ٢٠٣هـ/٨١٨م واستمرت سبعين يوماً مات تحت الهدم خلق كثير[٣]، وفي سنة ٢٢٤هـ/٨٣٨م زلزلت فرغانة **فمات أكثر من خمسة عشر ألفاً**[٤]، وفي سنة ٢٢٦هـ/٨٤٠م "تقوضت مدينة في خراسان، وأمست تلاً من تراب، وهلك سكانها قاطبة"[٥].

وحين أصيبت الري بزلزال عنيف سنة ٢٤١هـ/٨٥٥م مات تحت الأنقاض خلق كثير لا يحصون[٦]، وفي السنة نفسها أصابت الصواعق أهل قومس فأحرقت خلقاً كثيراً[٧]، وفي السنة التالية مات نحو **مائتي ألف من أهل قومس ونيسابور**

---

١ ــ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢٣٨.

٢ ــ الطبري: تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٣٩، ابن الجوزي: المنتظم ج ١٠ ص ١٠٠، ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٤٤٠.

٣ ــ ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٤٥١، ابن العماد: شذرات الذهب ج ١ص ٥، وفيه أن ذلك كان سنة ٢٠٢هـ.

٤ ــ ابن الجوزي: المنتظم ج ١١ ص ٨٩.

٥ ــ ابن العبري: تاريخ الزمان ص ٣٤.

٦ ــ ابن الأثير: الكامل ج ٦ ص ١٢٤.

٧ ــ الأصبهاني: سني ملوك الأرض ص ١٤٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

جراء الزلازل، كما مات كثيرون من أهل فارس بالصواعق التي أصابتهم[1]، ومات **بضعة وأربعون ألف في السنة نفسها من أهل الدامغان والري وطبرستان** ونيسابور نتيجة الزلازل التي أصابتها[2]. ومات خلق كثير من أهل الري حين أصابتهم الزلازل سنة ٢٤٩هـ/٨٦٣م[3]، وفي سنة ٢٥٨هـ/٨٧١م مات من أهل الصَّيمرة أكثر من عشرين ألف شخص تحت أنقاض المنازل التي دمرتها الزلازل[4]. أما مدينة دَبيْل فقد **مات من أهلها ما يزيد على مائة وثلاثين ألفاً** إثر الزلازل التي دمرتها سنة ٢٨٠هـ/٨٩٣م[5].

وحين وقع الوباء بأذربيجان سنة ٢٨٨هـ/٩٠٠م **بلغ الموتى من الكثرة ما فاق القدرة على تكفينهم ودفنهم، فكانوا يُتركون على الطريق غير مكفنين ولا مدفونين**، وفتك هذا الوباء بالخاصة والعامة[6]، **وكان من بين الموتى أمير**

---

١ ــ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٤٩١.

٢ ــ الطبري: تاريخ الطبري ج ٥ ص ٣٢٥، ابن الأثير: الكامل ج٦ ص ١٢٦، الذهبي: سير أعلام النبلاء ج ١٢ ص ٣٧، ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص ١٤٣.

٣ ــ ابن الأثير: الكامل ج ٦ ص ١٥٥.

٤ ــ الأصفهاني: سني ملوك الأرض ص ١٤٧، الذهبي: تاريخ الإسلام وفيات ٢٥١ ــ ٢٦٠هـ ص ٢٨.

٥ ــ الذهبي: سير أعلام النبلاء ج ١٣ ص٤٧٢، ولعلها هي المدينة التي قصدها ابن العبري بقوله في أحداث هذه السنة: "وفي هذه السنة حدثت زلزلة هائلة دكت مدينة كبرى في الهند الخارجة. وقد نبشوا من تحت تراب الدور المتهدمة مائة وخمسين ألف جثة وطمروها[تاريخ الزمان ص ٤٧].

٦ ــ ابن الجوزي: المنتظم ج ٦ ص ٢٧، ابن الأثير: الكامل ج ٦ ص ٤٠٧، ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص ١٥١، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٢٣، ١٢٤، ابن العماد: شذرات الذهب ج ١ ص ١٩٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أذربيجان محمد بن أبي الساج[1] مع سبعمائة من خواصه وأقاربه[2]. وفي سنة ٢٩١هـ/٩٠٣م غرق في السيول التي أصابت مدينة جُبَّى خلق كثير "**وأخرج من الغرقى ألف ومائتا نفس سوى من له يُلحق منهم**"[3]. وفي سنة ٣٢٣هـ/٩٣٤م مات من أهل خراسان خلق كثير بسبب الجوع، **وبلغ الموتي من الكثرة ما جعل الناس يعجزون عن دفنهم 'فكانوا يجمعون الغرباء والفقراء في دار إلى أن يتهيأ لهم تكفينهم ودفنهم**"[4]، وفي آخر سنة ٣٢٣هـ/٩٣٤م وأول سنة٣٢٤هـ/٩٣٥م اقترن بالمجاعة التي ألمت بأصبهان الموت الذريع، **فمات من أهلها أكثر من مائتي ألف نفس**[5]. وفي وباء الصفراء الذي أصاب أهل أصبهان سنة ٣٤٤هـ/٩٥٥م مات كثيرون من أهلها "**وربما عم في دار سكانها فوق عشرين حتى يأتي على عامة من فيها**"[6]، وفي السنة نفسها وقع

---

١ ــ هو محمد بن ديوداد أبي الساج استعمله الموفق بانه أخو الخليفة المعتمد (٢٥٦ ــ ٢٧٩هـ/٨٦٩ ــ ٨٩٢م) على أذربيجان سنة٢٧٦هـ/٨٨٩م، لكنها أُخِذت منه، فأعاده إليها واستعمله على أعمالها الخليفة المعتضد (٢٧٩ ــ ٢٨٩هـ/٨٩٢ ــ ٩٠١م) سنة ٢٨٥هـ/٨٩٨م[ابن الأثير: الكامل ج ٦ ص ٣٥٨، ٤٠٧، ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٥٠، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٥٠].

٢ ــ ابن الأثير: الكامل ج ٦ ص ٤٠٧، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٢٣، ١٢٤، ابن العماد: شذرات الذهب ج ١ ص ١٩٥.

٣ ــ الطبري: تاريخ الطبري ج ٥ ص ٦٥٥.

٤ ــ ابن الأثير: الكامل ج ٧ ص ١١٦.

٥ ــ الأصبهاني: سني ملوك الأرض ص ١٤٩، ابن العماد: شذرات الذهب ج ١ ص ٣٠٠.

٦ ــ الأصبهاني: سني ملوك الأرض ص ١٤٩، ١٥٠. وانظر ابن الجوزي: المنتظم ج ٧ ص ٣٧٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وباء كثير في الري حصد كثيراً من أرواح أهلها "**وكان فيمن مات أبو علي بن محتاج الذي كان صاحب جيوش خراسان، ومات معه ولده**"[1].

وفي سنة ٣٤٦هـ/٩٥٧م مات خلق كثير جراء الزلازل والخسف الذي أصاب الري ونواحيها والطالقان[2]، "**فلم يفلت من أهلها إلا نحو ثلاثين رجلاً**"[3]، ومات خلق كثير في الوباء الذي أصاب بلاد الجبل سنة ٣٤٧هـ/٩٥٨م "**وكان أكثر من مات فيه النساء والصبيان**"[4]. **ومات من أهل الديلم ستة عشر ألف إنسان** في الزلزلة التي أصابتها سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٧م، **وذلك سوى من خسف به الأرض وطمه الهدم**[5].

وجراء القحط الشديد الذي عم نيسابور ونواحيها سنة ٤٠١هـ/١٠١٠م **هلك ما يزيد على ألف إنسان**[6]، وخرج من أصبهان وحدها في الوباء الذي أصاب الهند

---

١ ــ ابن الأثير: الكامل ج ٧ ص ٢٥٣، وانظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٣١٣، ابن العماد: شذرات الذهب ج ١ ص ٣٦٦.

٢ ــ ابن الجوزي: المنتظم ج ٦ ص ٣٨٤، ابن الأثير: الكامل ج ٧ ص ٢٥٩.

٣ ــ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٣١٧، ابن العماد: شذرات الذهب ج ٢ ص ٣٧١.

٤ ــ ابن الأثير: الكامل ج ٧ ص ٢٦٢.

٥ ــ ابن الجوزي: المنتظم ج ٧ ص ٢٣٨، ابن الأثير: الكامل ج ٨ ص ٥٠، ابن العبري: تاريخ الزمان ص ٧٦، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢١٨، ابن العماد ج ٣ ص ١٥٠.

٦ ــ الذهبي: سير أعلام النبلاء ج ١٥ ص ١٧٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وغزنة وأطراف خراسان سنة ٤٢٣هـ/١٠٣١م حوالي **أربعين ألف جنازة**[١]. وأما مدينة تبريز فقد مات من أهلها نتيجة الزلزلة التي دمرتها سنة ٤٣٤هـ/١٠٤٢م **أربعون ألف نسمة**[٢]، وقيل إن **الموتى كانوا قريباً من خمسين ألفاً**[٣].

ومن أكثر الكوارث حصداً للأرواح المرض والجوع اللذان فتكا بفارس وخراسان وما وراء النهر سنة ٤٤٩هـ/١٠٥٧م حتى إنه **خرج منها "في يوم واحد ثمانية عشر ألف جنازة وخمسين ألف، وأحصي من مات..... فكانوا ألف ألف وستمائة ألف وخمسين ألفاً"**[٤]، **ومات من سمرقند وحدها مائتان وستة وثلاثين ألفاً**[٥]. وفي سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م **أقفرت قرى كثيرة من السكان** بسبب الوباء الذي استفحل في بلاد فارس والعجم عموماً، "ولم يمهل الداء فتكه بكائن من كان أكثر من ستة أيام"[٦]، وفي السنة نفسها هلك كثير من أهل أرَّجَان تحت أنقاض المنازل التي دمرتها الزلازل[٧]، وفي سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٧م هلك خلق كثير من أهل همذان وما جاورها من بلاد الجبل عقب الزلازل التي رجفت

---

١ ــ ابن الجوزي: المنتظم ج ٨ ص ٦٩، ابن العبري: تاريخ الزمان ص ٨٥، الذهبي: سير أعلام النبلاء ج ١٧ ص ٤٩٦.

٢ ــ ناصر خسرو: سفرنامه ص٣٨، ابن العماد: شذرات الذهب ج ٢ ص ٢٥٣، ٢٥٤.

٣ ــ ابن الأثير: الكامل ج ٨ ص ٢٦٠، ابن العبري: تاريخ الزمان ص٩١، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٣٥.

٤ ــ ابن الجوزي: المنتظم: ج ٨ ص ١٧٩، ١٨٠، ابن العبري: تاريخ الزمان ص ١٠٠، وفيه أن ذلك كان سنة ٤٤٨هـ، ابن العماد: شذرات الذهب ج ٢ ص ٢٧٩.

٥ ــ ابن العبري: تاريخ الزمان ص ١٠٠.

٦ ــ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص ١١٩.

٧ ــ ابن الجوزي: المنتظم ج ٩ ص ١٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بها سبعة أيام متتالية[1]. وفي سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٨م مات كثيرون من أهل خراسان **عجز الناس عن دفنهم لكثرتهم**، وذلك نتيجة الوباء الجارف الذي عمها[2].

ثانياً: النتائج الاجتماعية:

تأثرت الحياة الاجتماعية كغيرها من مناحي الحياة تأثراً سلبياً بالأخطار والكوارث التي أصابت المنطقة موضوع البحث، حيث أسفرت عن مشاكل اجتماعية وبيئية لا حصر لها، كما سيتضح فيما يلي:

١- يعد **تناقص عدد السكان** نتيجة لكثرة الوفيات الناجمة عن تلك الأخطار وهذه الكوارث- كما يتضح من الصفحات السابقة - أول مظاهر هذا التأثر إذ أسفر ذلك بلا شك عن وجود أعداد من الأرامل والأيتام لا عائل لهم يحتاجون إلى تقديم العون لهم.

٢- إن موت الحيوانات والدواب نتيجة هذه الأخطار والكوارث - كما سيبين البحث عند الحديث عن الآثار الاقتصادية - قد أضر كثيراً بالثروة الحيوانية في بلدان الخلافة الشرقية وترك آثاراً سيئة على الحياة الاجتماعية، حيث كان السكان يعتمدون على هذه الثروة في معاشهم، فعليها تُحمل البضائع والسلع، كما كانت تُدر عليهم منتجاتها من الألبان بالإضافة إلى الكميات الكبيرة من لحومها، هذا بالإضافة إلى استخدامها في حرث الأرض[3]، كما أن إنتاجها من الأصواف

---

١ ــ السابق ج ٩ ص ٣٨.

٢ ــ ابن الأثير: الكامل ج ٩ ص ٢٤.

٣ - المقدسي: أحسن التقاسيم ص ٢٥٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والوبر والفرو والجلود كان يستخدم في الصناعات المختلفة[1]، ففي سنة ٤٦٤هـ/١٠٧١م تعذر اللحم في خراسان بعد أن وقع الموتان في الحيوان[2]، وفي سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م عزت الألبان واللحوم في خراسان نتيجة وباء استشرى في الدواب والمواشي[3].

٣- كذلك أسفرت هذه الأخطار والكوارث وبخاصة موجات البرد والصقيع وتراكم الثلوج بالإضافة إلى موجات الجفاف عن إتلاف كثير من الأراضي الزراعية[4] مما أثر على القيمة الإنتاجية لهذه الأراضي، وأدّى إلى نقص حاد في المواد الغذائية وتهديد للأمن الغذائي، ففي سنة ٤٠١هـ/١٠١٠م عُدم القوت في بلاد خراسان "حتى أكل الناس بعضهم بعضاً، فكان الإنسان يصيح: الخبز الخبز ويموت"[5]، كما تعذرت فيها الأقوات سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٨م، ودام الأمر على ذلك سنين[6].

---

١ - العمادي (محمد حسن) دكتور: خراسان في العصر الغزنوي ص ١٣١، طبعة مؤسسة حماد للخدمات والدراسات الجامعية، ودار الكندي للنشر والتوزيع، إربد - الأردن ١٩٩٧م.

٢ - ابن الجوزي: المنتظم ج ٨ ص ٢٧٣.

٣ - ابن الجوزي: المنتظم ج ٩ ص ١٤، ١٥.

٤ - انظر مثلاً ابن حوقل: صورة الأرض ص ٢٦٣، الأصفهاني: سني ملوك الأرض ص ١٤٥، ١٤٦، ١٤٩، ابن الجوزي: المنتظم ج ١ ص ٢٣٨، ج ٨ ص ٢٢٥، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢٧٥، ج ٣ ص ٣١٩، وسوف يأتي الحديث مفصلاً عن ذلك عند الحديث عن الآثار الاقتصادية.

٥ - ابن الأثير: الكامل ج ٨ ص ٦٥.

٦ - السابق ج ٩ ص ٢٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٤- وقد ترتب على ما تقدم مشكلة اجتماعية أخرى عانى منها السكان وأثقلت كاهلهم بما لا يطيقونه هي مشكلة غلاء الأسعار، وهي وإن كانت من المشكلات الوثيقة الصلة بالناحية الاقتصادية فإنها في الوقت نفسه تمثل مشكلة اجتماعية تترك آثار سيئة على أبناء المجتمع، وتجعل الحُصول على ضروريات الحياة من طعام وشراب _ إن وجِدت _ يفوق قدراتهم المادية، ففي سنة ٢٨٠هـ/٨٩٣ م حين غارت المياه بالري وطبرستان غلت الأسعار "حتى بلغ الماء ثلاثة أرطال بدرهم"[١]، وفي سنة ٤٠٠هـ/١٠٠٩م تفاقم الغلاء بخراسان "حتى بيع رطل الخبز بدينار ذهباً"[٢]، وفي السنة التالية "اشتد الغلاء بخراسان جميعها..... حتى أكل الناس بعضهم بعضاً"[٣]، وحين توجه الرحالة ناصر خسرو في رحلته إلى نواحي قزوين، وبلغ قرية من قراها تُسمّى قوهة وجد بها القحط متفشياً والغلاء متزايداً "حتى بيع المن[٤] من خبز الشعير بدرهمين"[٥]، وفي سنة ٤٤٩هـ/١٠٥٧م بلغ الغلاء مداه في خراسان وفارس حتى "بلغت كارة[٦] الخشكار، أي النخالة

---

١ - السابق ج ٦ ص ٣٧٦، وانظر أيضاً الذهبي: سير أعلام النبلاء ج ١٣ ص ٤٧٢، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٨٦، وفيها أن ذلك كان سنة ٢٨١ه/٨٩٤م.

٢ - ابن العبري: تاريخ الزمان ص٧٧.

٣ - ابن الأثير: الكامل ج ٨ ص ٦٥.

٤ - المن وزنه مائتان وسبعة وخمسون درهماً، وبالمثاقيل مائة وثمانون مثقالاً، وبالأوقيات أربع وعشرون أوقية وبالأرطال رطلان[الخوارزمي (محمد بن أحمد بن يوسف ت ٣٨٧ه/٩٩٧م): مفاتيح العلوم ص ٢٩، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط١ دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٤ه/١٩٨٤م].

٥ - سفرنامه ص ٣٦.

٦ - جاء في لسان العرب ج ٥ ص ١٥٥أن الكارة هي الحالُ الذي يحمله الرجل على ظهره، وفي ج ١٣ ص٢٤٠ في مادة (شغن) يقول: الشُغْنَة هي الحال، وهي التي يسميها الناس

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عشرة دنانير، ومات من الجوع خلق كثير"[1]، وفي سنة ٤٦٤هـ/١٠٧١م غلت الأسعار في خراسان بسبب تفشى الموت في الحيوانات حتى فقد الناس اللحوم[2]، وفي سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٨م "كان بخراسان غلاء شديد تعذرت فيه الأقوات..... وكان سببه أن البرد أهلك الزروع جميعها"[3].

٥- كذلك تأثر مستوى معيشة السكان بتلك الأخطار والكوارث تأثراً سلبياً، فبالإضافة إلى الخسائر الفادحة التي أصابتهم نتيجة تلف مزارعهم وحقولهم وموت دوابهم ومواشيهم فقدوا خلال هذه الأخطار والكوارث كثيراً من أموالهم ومقتنياتهم، ففي سنة ٣٦٧هـ/٩٧٧م ضربت الزلازل مدينة سيراف، فهدمت المنازل، **وأتت على ما فيها من الأموال**[4]، وحين زُلزلت الدينور سنة ٣٧٨هـ/٩٨٨م تهدمت المنازل، وضاع تحت **أنقاضها من أموال الناس ما لا يعد ولا يحصى**[5]، وحين ضربتها الزلازل مرة أخرى سنة ٣٩٨هـ /١٠٠٧م وهدمت منازلها "**ذهب من الأثاث والمتاع فيما تهدم ما لا يحصى**[6]، بل إن الجراد الذي انتشر في شيراز سنة ٣٩٣هـ /١٠٠٢م أتى على ملابس الناس التي كانوا قد أودعوها لدي الحاكة، وكأنه أبى إلا أن يجردهم مما يستر أبدانهم ليزيد من

=الكارة، ومن هذين القولين يتضح أن الكارة حمل معين تعارف عليه الناس في الفترة موضوع البحث.

١ ـ ابن العماد: شذرات الذهب ج ٢ ص ٢٧٩.

٢ - ابن الجوزي: المنتظم ج ٨ ص ٢٧٣.

٣ - ابن الأثير: الكامل ج ٩ ص ٢٤.

٤ - ابن الجوزي: المنتظم ج ٧ ص ٨٧.

٥ - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢١٨.

٦ - ابن الجوزي: المنتظم ج ٧ ص ٢٣٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

معاناتهم، يقول ابن العبري في أحداث هذه السنة: "ظهر جراد كثير..... ولاسيما في شيراز..... **وعاث بأقمشة القصارين حتى أمست رقعاً رقعاً، وأعادوها إلى أصحابها**"[1].

وقد بلغ من تدني مستوى المعيشة والفقر الذي عانى منه السكان من جراء تلك الأخطار وهذه الكوارث **أن بعضهم أخذ ينزع سقف بيته ليبيعه ويعيش من ثمنه**[2]، بل إن **الديون تراكمت على المنكوبين** الذين فقدوا دوابهم وحصاد أراضيهم نتيجة هذه الأخطار والكوارث[3].

٦- ونتيجة لما سبق بدأت تظهر بعض الظواهر السلبية في المجتمع مثل ظاهرة اللصوصية، حيث اضطر بعض المنكوبين إلى السرقة لسد حاجتهم من المطعم والملبس والكساء والغطاء، وغير ذلك من متطلبات الحياة حتى إنهم لم يراعوا حرمة الأموات، ففي سنة ٤٤٩ هـ /١٠٥٧م حين عم الغلاء خراسان وفارس[4]، وانتشرت الأوبئة في بلاد ما وراء النهر **دخل لص ليسرق لحافاً من على ميت، فمات اللص وطرف اللحاف في يده**[5].

٧- كذلك من الطبيعي أن يسفر بقاء الموتى الذين توفوا نتيجة الأخطار والكوارث مطروحين في الطرقات دون تكفين أو دفن[6]، وكذلك الحيوانات التي

---

١ - تاريخ الزمان ص ٧٥.

٢ - العمادي: خراسان في العصر الغزنوي ص ١٦٠.

٣ - السابق ص ١٢٧، ١٢٨.

٤ - ابن العماد: شذرات الذهب ج ٢ ص ٢٧٩.

٥ - ابن الأثير: الكامل ج ٨ ص ٣٣٩.

٦ - راجع ص ١٥ من هذا البحث.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نفقت جراء تلك الأخطار والكوارث، وكذا اضطرار السكان إلى تناول أطعمة فاسدة أو لا تصلح للآدميين خلال المجاعات التي أصابت بلادهم- كان من الطبيعي إن يسفر هذا كله عن كثير من المشكلات البيئية التي تؤثر على المجتمع بأسره فانتشرت فيه الأمراض الفتاكة التي أودت بحياة الآلاف[1].

٨- كان **تدمير المراكز العمرانية** الناتج عن هذه الأخطار والكوارث حجمه كبيراً شمل المنشآت المعمارية المختلفة المدنية منها سواء كانت بيوتاً للعامة أو قصوراً للخاصة وكذلك المنشآت العسكرية والدينية والاجتماعية، ففي سنة ٢٠٣هـ /٨١٨م أصابت بلاد خراسان وما وراء النهر زلزلت عظيمة "فخربت البلاد وتهدمت الدور"[2]، وفي سنة ٢٢٦هـ /٨٤٠م "تقوضت مدينة بخراسان، وأمست تلاً من تراب" نتيجة زلزال ضربها[3]، وفي سنة ٢٤١هـ /٨٥٥م كانت زلزلة شديدة بالري هدمت المساكن[4]، وفي السنة نفسها "أصاب أهل قومس رجفة وخسف أتيا على عامة مدينة الإمارة"[5].

وفي السنة التالية ضربت الزلازل بلاداً عدة في فارس وخراسان، ودمرت كثيراً من مدنها ..... وسقطت بلدان كثيرة على أهلها، وسقط نحو من ثلثي بسطام"[6]، وسقط نصف

---

١ - راجع ١٥-١٧ من هذا البحث.
٢ - ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٤٥١.
٣ - ابن العبري: تاريخ الزمان ص ٣٤.
٤ - ابن الأثير: الكامل ج ٦ ص ١٢٤.
٥ - الأصفهاني: سني ملوك الأرض ص ١٤٦.
٦ - ابن الجوزي: المنتظم ج ١١ ص ٢٩٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مدينة الدامغان[1]، وتهدمت الدور على أهلها في مدن كثيرة، وسقطت حيطانها على ساكنيها فأهلكتهم[2]، كما دمرت الزلازل مدينة تبريز سنة ٢٤٤هـ /٨٥٨م[3].

وفي سنة ٢٤٩هـ /٨٦٣م أصاب أهل الري زلزلة ورجفة هدمت الدور[4]، وفي سنة ٢٥٨هـ /٨٧١م كانت بالصيْمَرة هدات عظيمة تساقط منها أكثر المدينة[5]، وفي سنة ٢٨٠هـ /٨٩٣م سقط أكثر مدينة ديبُل نتيجة زلزال ضربها[6].

وفي أوائل المائة الرابعة للهجرة خرّبت فيضانات نهر جيحون المستمرة مدينة كاث وقلعتها فلم يَبق منها رسم ولا طلل[7]، كما خرّب جامعها وكذلك قصر السلطان خوارزم شاه، واستمرت الفيضانات تنتابها وتخرب أحياء مختلفة كل

---

١ - الذهبي: سير أعلام النبلاء ج ١٢ ص ٣٧، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٣٠٧.

٢ - الطبري: تاريخ الطبري ج ٥ ص ٣٢٥، ابن الأثير: الكامل ج ٦ ص ١٢٦، ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص ١٤٣.

٣ - كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص ١٩٦.

٤ - ابن الأثير: الكامل ج ٦ ص ١٥٥.

٥ - الأصفهاني: سني ملوك الأرض ص ١٤٧، الذهبي: تاريخ الإسلام حوادث ٢٥١ - ٢٦٠ه ص٢٨، تحقيق د/ عمر عبد السلام تدمري، ط١ دار الكتاب العربي - بيروت ١٤١٢هـ /١٩٩٢م..

٦ - الذهبي: سير أعلام النبلاء ج ١٣ ص ٤٧٢.

٧ - ابن حوقل: صورة الأرض ص٣٩٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مرة حتى فقدت مركزها كأهم قصبة في خوارزم، وآل أمرها في نهاية القرن الرابع الهجري إلى بلدة ليس لها شأن كبير، بعد أن كانت من أفخم المدن[1].

وفي ٣٢٨هـ /٩٣٩م ضربت الفيضانات نواحي الأنبار فتساقطت الأبنية[2]، كما خُسف بمائة وخمسين قرية من قرى الري نتيجة الزلازل التي أصابتها سنة ٣٤٦هـ /٩٥٧م[3]، وفي السنة نفسها تهدمت كثير من الأبنية ببلاد الجبال وقم ونواحيها بعد أن ضربتها الزلازل أربعين يوماً متتالية[4]، وفي السنة التالية عادت الزلازل لتضرب هذه البلاد "فقتلت خلقاً عظيماً، وهدمت حصوناً"[5].

وفي سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م تهدمت أكثر دور سيراف وتفطرت بعد أن توالت عليها الزلازل سبعة أيام وتركتها آية لمن تأملها وعبرة لمن اتعظ بها، بعد أن كانت دورها أعجب الدور في بلاد الإسلام وأحسنها[6]، وفي سنة ٣٧٨هـ/٩٨٨م خربت المساكن ببلاد الجبل بعد أن تتابعت عليها الأمطار وسالت الأودية

---

١ – كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص٤٨٩، ٤٩٠.

٢ – ابن العماد: شذرات الذهب ج ١ ص ٣١٠.

٣ – ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٣١٧، ابن العماد: شذرات الذاهب ج ١ ص ٣١٧

٤ – ابن الأثير: الكامل ج ٧ ص ٢٥٩.

٥ – ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٣١٩.

٦ – المقدسي: أحسن التقاسيم ص ٢٨٤، ابن الجوزي: المنتظم ج ٧ ص ٨٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وامتلأت الأنهار والآبار[1]، وفي سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٧م هدمت الزلازل دوراً جمة في الدينور[2].

وفي سنة ٤٣٤هـ /١٠٤٢م وقعت زلزلة عظيمة في تبريز هدمت قلعتها ودورها ومساكنها وحماماتها وأسواقها، وأكثر دار الإمارة[3]، وفي سنة ٤٤٤هـ/١٠٥٢م تهدمت منشآت كثيرة بمدينة أرَّجان عقب زلازل متتالية "ارتجت منها الأرض، وانقلعت منها الحيطان، ووقعت شرافات القصور"[4]، وقلعت الجبال، وخربت القلاع[5]، وفي السنة نفسها **هدمت الزلازل سور مدينة بيهق ومساجدها**[6]، وفي سنة ٤٥٤هـ/١٠٦٣م ورد سيل شديد على بلاد فارس والجبال، واتصل المطر ثمانين يوماً متتالية "فوقف الماء في الدروب، وسقطت منه الحيطان"[7]، وفي سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م تهدمت مباني أرَّجان وما تاخمها مرة أخري، وسقطت منارة الجامع عقب زلزال أصابها[8]، وفي سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٧م **سقط برجان من قلعة همذان** نتيجة الزلازل التي ضربتها[9].

---

١ – ابن الأثير: الكامل ج ٧ ص ٤٣٤، ٤٣٥.

٢ – ابن الجوزي: المنتظم ج ١ ص ٢٣٨، ابن العبري: تاريخ الزمان ص ٧٦، ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٥٠، وفيه أن ذلك كان سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٨م.

٣ – ابن الجوزي: المنتظم ج ٨ ص ١١٤، ابن الأثير: الكامل ج ٨ ص ٢٦٠، ابن العبري: تاريخ الزمان ص ٩١، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٣٥.

٤ – ابن الجوزي: المنتظم ج ٨ ص ١٥٤.

٥ – ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٥٣.

٦ – ابن الأثير: الكامل ج ٨ ص ٣١٠.

٧ – ابن الجوزي: المنتظم ج ٨ ص ٢٢٥.

٨ – ابن الجوزي: المنتظم ج ٩ ص ١٤، ابن الأثير: الكامل ج ٨ ص ٤٤١.

٩ – ابن الجوزي: المنتظم ج ٩ ص ٣٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٩- ترتب على تهدم هذه المنشآت مأساة إنسانية عانى منها أهل هذه البلاد هي **تشريد السكان** الذين فقدوا المأوي، فافترشوا الأرض والتحفوا السماء، فحين تهدمت دور أهل الري عقب الزلزال الذي أصابها سنة ٢٤٩هـ/٨٦٣م **هرب من نجا من سكانها إلى ظاهر المدينة وأقاموا في العراء**[١]، أما أهل سيراف فقد **هربوا إلى البحر** حين ضربت الزلازل مدينتهم سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م[٢]، وحين زُلزلت الدينور سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٧م ومات كثير من أهلها تحت الأنقاض **"خرج السالمون إلى الصحراء، فأقاموا في أكواخ"**[٣]، ولما ضربت الزلازل خراسان وهدمت مبانيها، وخسفت بعدة من قراها سنة ٤٥٨هـ/١٠٦٥م **"خرج الناس إلى الصحراء، وأقاموا هناك"**[٤]، وفي سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٧م تهدمت منازل كثيرة في همذان وما داناها من أرض الجبل ومات تحت الهدم خلق كثير عقب الزلازل التي رجفت بها سبعة أيام، **وخرج الناجون "إلى الصحراء حتى سكنت ثم عادوا"**[٥].

١٠- كذلك أسفرت هذه الأخطار وتلك الكوارث عن مأساة أخرى عانى منها أهل البلاد المنكوبة والوافدون إليها، وعاقتهم عن قضاء حوائجهم والتواصل مع من حولهم ممن لم تصبهم هذه الأخطار وتلك الكوارث لتخيف المعاناة عنهم، كما عاقت من تواصل الآخرين معهم لنجدتهم، وأعني بتلك المأساة **انقطاع الطرق وتخريبها، وتوقف مظاهر الحياة، حيث كانت هذه الأخطار وتلك**

---

١ - ابن الأثير: الكامل ج ٦ ص ١٥٥.

٢ - المقدسي: أحسن التقاسيم ص ٢٨٤، ٢٨٥.

٣ - ابن الجوزي: المنتظم ج ٧ ص ٢٣٨.

٤ - السابق ج ٨ ص ٢٤١، ابن الأثير: الكامل ج ٨ ص ٣٧٧.

٥ - ابن الجوزي: المنتظم ج ٩ ص ٣٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الكوارث تؤدي إلى انقطاع الطرق، وعدم قدرة الناس على سلوكها والسير فيها مما يعطل مصالحهم، ويؤثر سلباً على معاشهم ويزيد في الوقت نفسه من حجم الخسائر الناجمة عنها، ففي سنة ٢٣٤هـ/٨٤٨ م هبت على همذان ريح سموم "**منعت الناس من المعاش في الأسواق، ومن المشي في الطريق**"[١]، وفي سنة ٣١٠هـ/٩٢٢م شلت الفيضانات مظاهر الحياة في أصفهان، حيث "**طما الماء حتى ركب ظهور القناطر، ومنع الناسَ العبور عليها**..... حتى خشي أهل المدينة على أنفسهم. وقد كان الماء ركب جانب السور ونقب ناحية منه"[٢]، ولثلاث بقين من ربيع الآخر سنة ٣٤٤هـ/٩٥٥م توالى المطر على أصفهان "ومازال يشتد حتى صار وابلاً وانضاف إليه رعد وبرق هائلان، فدام عامة الليل..... **فأصبح الناس وقد انسدت الطرق بالسيل**"[٣]، وفي سنة ٣٧٨هـ/٩٨٨م تتابعت الأمطار وكثرت البروق والرعود والبرد، وسالت الأودية وامتلأت الأنهار والآبار ببلاد الجبل، وخربت المساكن، **وامتلأت الأقناء طيناً وحجارة، وانقطعت الطرق**"[٤]، وفي سنة ٤٠١هـ/١٠١٠م سقطت الثلوج ببلدة أُوزَكَنْد[٥] ببلاد ما وراء النهر **فمنعت المارة من سلوك الطريق**[٦].

وفي بعض المناطق كانت الأمطار والثلوج تستمر طوال العام مما يعوق الناس من قضاء حوائجهم ومهماتهم، يقول ابن حوقل: "**لا تخلو جرجان وطبرستان**

---

١ - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢٧٥.

٢ - الأصفهاني: سني ملوك الأرض ص ١٤٨.

٣ - السابق ص ١٤٩، ١٥٠.

٤ - ابن الأثير: الكامل ج ٧ ص ٤٣٤ ن ٤٣٥.

٥ - بلدة من نواحي فرغانة [ياقوت: معجم البلدان ج ١ ص ٢٨٠].

٦ - ابن الأثير: الكامل ج ٨ ص ٦٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شتاءهم وصيفهم من الأمطار الدائمة الكثيرة العظيمة المؤذية المضجرة القاطعة للغريب عن الاشتغال بالمهمات من الأعمال"[1].

ولعل ما يؤكد إصابة مظاهر الحياة بشلل تام في المناطق المنكوبة قول ابن الجوزي في أحداث سنة ٤٤٩هـ/١٠٥٧م: "في جمادى الآخرة ورد كتاب من تجار ما وراء النهر قد وقع في هذه الديار وباء عظيم مسرف زائد عن الحد حتى إنه خرج من هذا الإقليم في يوم واحد ثمانية عشر ألف جنازة..... **والناس يمرون في هذه البلاد فلا يرون إلا أسواقاً فارغة وطرقات خالية وأبواباً مغلقة"**[2]. بل إن عظم هذه الكوارث والأخطار حال أحياناً بين الناس والقيام بواجباتهم الاجتماعية، فحين انتشر الوباء في بلاد الجبل سنة ٣٤٧هـ/٩٥٨م، وأودى بحياة كثير من أهلها، وبخاصة من النساء والصبيان **"تعذر على الناس عيادة المرضى وشهود الجنائز لكثرتها"**[3].

ثالثا: -الآثار الاقتصادية:

تأثرت الحياة الاقتصادية في بلدان الخلافة الشرقية تأثراً سلبياً بما تعرضت له من أخطار وكوارث طبيعية خلال الفترة موضوع البحث، حيث تسببت في خسائر اقتصادية كثيرة من إتلاف للأراضي الزراعية وقضاء على المحاصيل والغلات، وقتل للمواشي والدواب التي تعد من أهم مصادر الثروة والغذاء بالإضافة إلى استخدامها في حرث الأرض وغيره من الأعمال، كما أن فقد كثير من الأيدي العاملة خلال هذه الأخطار والكوارث أثر تأثيراً سلبياً على الحياة

---

١ - صورة الأرض ص ٣٢٤.

٢ - المنتظم ج ٨ ص ١٧٩، ١٨٠.

٣ - ابن الأثير: الكامل ج ٧ ص ٢٦٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الاقتصادية، هذا بالإضافة إلى أن التربة الزراعية تأثرت سلبياً ببعض هذه الأخطار والكوارث، وعلى الجملة فإن هذا التأثر السلبي للحياة الاقتصادية بهذه الأخطار والكوارث بدا واضحاً في مجال الزراعة والثروة الحيوانية والتجارة، كما سيتضح فيما يلي:

١- الزراعة:

أُصيبت الزراعة بأضرار كثيرة جراء ما تعرضت له المنطقة موضوع البحث من أخطار وكوارث، ففي سنة ٢٢٢هـ/٨٣٦م هاجمت الفئران الأراضي الزراعية والمحاصيل في كورتي سرخس ومرو "**وبلغ من مضرة هذه الآفة أنها أتت على غلات تلك السنة في الكورتين**"[١]، وفي سنة ٢٣٤هـ/٨٤٨ م عصفت بهمذان ريح سَموم شديدة استمرت عشرين يوماً، **فأحرقت الزرع**[٢]، وفي سنة٢٤٢هـ/٨٥٦م أصابت أهل فارس صاعقة **احترقت منها الأشجار**[٣]، وفي سنة ٢٩١هـ/٩٠٣م "**كانت الغلات بأصبهان سابقت الحصاد، فأصابها صر ذهب بها كلها، فحُصِدت خاوية لا حب فيها**"[٤]، وفي السنة نفسها جاء بلدة جُبّى وما جاورها من أعمال خوزستان سيل في وادٍ من الجبل **أغرق نحواً من ثلاثين فرسخاً من الحقول والغلات**[٥].

---

١ - الأصفهاني: سني ملوك الأرض ص ١٤٥.

٢ - السابق ص ١٤٥، ١٤٦، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢٧٥.

٣ - اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٤٩١.

٤ - الأصفهاني: سني ملوك الأرض ص ١٤٨.

٥ - الطبري: تاريخ الطبري ج ٥ ص ٦٥٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفي سنة ٣٣٢هـ/٩٤٣م توالى سقوط الثلوج على أصفهان وعامة بلاد المشرق فأحدث أضراراً كثيرة وخسائر فادحة، يقول الأصفهاني: "**وقد أتى الضرر على الأشجار، وشمل ذلك الضرر عامة بلدان المشرق حتى عبر الناس بلا فاكهة**، وفي سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م كثر القمل في التيمرة الكبرى إحدى قرى أصفهان "**حتى يئس الناس من غلات سنيهم**، وهموا بالجلاء"[١].

وفي سنة ٣٤٧هـ/٩٥٨م هاجم الجراد الحقول في قم وإقليم الجبال "**فأتى على جميع الغلات والأشجار**"[٢]، وفي سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٧م هبّت على شيراز "ريح سوداء **أحرقت الزروع**"[٣]، وفي سنة ٤٥٤هـ/١٠٦٢م تساقط الثلج بفارس وإقليم الجبال **فأهلك كثيراً من الثمار**[٤]، بل إن بعض المحاصيل التي نجت من أضرار البرد والثلج وتم حصادها لم تتركها الرياح لينتفع بها الناس بل نسفتها وحرمتهم منها، كما اقتلعت الأشجار والنخيل يقول ابن الجوزي في أحداث سنة ٤٦٤هـ/١٠٧١م: "**كان في المكان المسمى بباغ[٥] ثلاثة آلاف وخمسمائة جريب حنطة وشعير..... نسفته الريح فلم يشاهد له أثر، وانقلع التوت العظيم من أصله وإحدى عشرة نخلة**"[٦]، وفي سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٨م أصابت خراسان **موجة برد شديدة فأهلكت الزروع جميعها**[٧].

---

١ - سني ملوك الأرض ص ١٤٩.

٢ - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٣٢٩.

٣ - ابن الجوزي: المنتظم ج ٧ ص ٢٣٨.

٤ - السابق ج ٨ ص ٢٢٥.

٥ - قرية بينها وبين مرو فرسخان[ياقوت: معجم البلدان ج ١ ص ٣٢٥].

٦ - المنتظم ج ٨ ص ٢٧٣.

٧ - ابن الأثير: الكامل ج٩ ص ٢٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كذلك كانت موجات البرد في بعض بلاد فارس تصيب الزراعة بأضرار كثيرة، يقول المقدسي: "**اعلم أن بفارس صروداً لا تثمر فيها الأشجار من شدة البرد، ولا ينعش فيها الزرع**"[1]، أما ابن حوقل فيقول عن هذه البلاد: "**فيها أماكن تبلغ من شدة البرد أن لا يثبت عندهم شيء من الفواكه والبقول**"[2].

ولم تتوقف الآثار السلبية للأخطار والكوارث على الزراعة عند حد الإضرار بالأشجار والزروع والمحاصيل، بل إن التربة الزراعية كان لها نصيبها من هذه الآثار وتلك الأضرار، حيث إن موجات الجفاف التي تعرضت لها المنطقة موضوع البحث، وكذلك الرياح التي عصفت بها [3] من الطبيعي أن تؤثر سلبياً على التربة، لأنه "**عادة ما يرتبط الجفاف بحدوث نقصان في المطر وزيادة في التبخر والنحت ينعكس ذلك بطبيعة الحال في تدهور التربة، وتعرضها لعمليات التعرية بفعل الرياح التي عادة ما تنشط عندما يحل الجفاف**"[4].

كما أن **زحف الرمال باتجاه الأراضي الزراعية يعمل على الاختلاط بالتربة وإتلافها[5]، وهو ما حدث بالفعل للتربة في سجستان التي صارت أرضها سبخة، وذلك بسبب ما يصيبها من عواصف رملية، حيث كانت "تنتقل رمالهم من مكان إلى مكان"**[6].

---

١ - أحسن التقاسيم ص ٢٨٧.

٢ - صورة الأرض ٢٦٣.

٣ - راجع ص ٦، ٧، ١٢ من هذا البحث.

٤ - د. محسوب، د. أرباب: الأخطار والكوارث، معالجة جغرافية ص ١٠٨، ١٠٩.

٥ - السابق ص ٩٣، ١٣٠.

٦ - ابن حوقل: صورة الأرض ص ٣٥٠، ٣٥١، كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص ٣٧٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كذلك كانت الثلوج التي تتساقط تضر كثيراً بالتربة، وتجعل الفلاحين يعانون في حرثها، يقول المقدسي: "**وفي رساتيق أردبيل**[1]، **يحرثون بثمانية ثيران، وأربعة سوائق لكل ثورين سائق، وسألتهم أهذا لصلابة الأرض؟ قالوا: لا ولكن من أجل الثلوج**"[2].

١- الثروة الحيوانية:

لم تكن الثروة الحيوانية أحسن حالاً من الثروة الزراعية حيث كان لها حظها من الأضرار التي أصابتها جراء الأخطار والكوارث، ففي سنة ٢٣٤هـ /٨٤٨م عصفت ريح سموم شديدة بهمذان **أهلكت كثيراً من دواب الناس ومواشيهم**[3]، وفي سنة ٢٤٢هـ/٨٥٦م أصابت صاعقة بلاد فارس، **فقتلت كثيراً من البهائم**[4]، وفي سنة ٢٩١هـ/٩٠٣م ضربت السيول بلدة جُبّى من أعمال خوزستان، **فأغرقت المواشي**[5].

وحين اجتاحت السيول قرى الأنبار "**غرق الناس والبهائم والسباع**"[6]، وفي سنة ٤٤٩هـ/١٠٥٧م **نفقت الأبقار** في الوباء الذي أصاب بلاد ما وراء النهر[7]، وفي سنة ٤٦٤هـ/١٠٧١م انتشر الوباء بين الحيوانات في خراسان ونواحيها "**حتى**

---

١ - مدينة من أشهر مدن أذربيجان[ياقوت: معجم البلدان ج ١ ص ١٤٥].

٢ - أحسن التقاسيم ص ٢٥٩.

٣ - الأصفهاني: سني ملوك الأرض ص ١٤٥، ١٤٦، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢٧٥.

٤ - اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٤٩١.

٥ - الطبري: تاريخ الطبري ج ٥ ص ٦٥٥.

٦ - ابن العماد: شذرات الذهب ج ١ ص ٣١٠.

٧ - ابن الجوزي: المنتظم ج ٨ ص ١٧٩، ١٨٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إن راعياً في بعض طريق خراسان قام عند الصباح إلى غنمه ليسوقها فوجدها موتى"[1]، وحين زُلزِلت مدينة أرَّجَان سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م "**هلك تحت الردم أمم من الآدميين والمواشي**"[2]، وفي السنة نفسها عم الطاعون إقليم خراسان "**وتعقبه موت الوحوش في البرية، ثم تلاه موت الدوابّ والمواشي.... وعزت الألبان واللحوم**"[3]، وفي بلاد فارس مناطق تبلغ من "شدة الحر في الصيف الصائف **ألا يثبت عندهم شيء من الطير لشدة الحر**"[4].

٢- التجارة:

من الطبيعي أن تتأثر التجارة كغيرها من جوانب الحركة الاقتصادية بما أصاب البلاد من أخطار وكوارث ومصائب ونكبات، حيث فقد الناس رؤوس أموالهم التي هي عصب التجارة نتيجة لذلك، فالزلزلة التي ضربت سيراف سنة ٣٦٧هـ/٩٧٧م وهدمت منازلها "**أتت على ما فيها من الأموال**"[5]، كما أن كثيراً من أصحاب الأموال والتجار قضوا نحبهم في هذه الأخطار والكوارث، وبقيت أموالهم لا تجد من يتاجر بها، ففي سنة ٤٤٩هـ/١٠٥٧م حصد الوباء أرواح آلاف من أهل بخارى وسمرقند وغيرهما من بلاد ما وراء النهر "**فبقيت أموال الناس سائبة**"[6] وقد أثَّر ذلك على النشاط التجاري كغيره من مظاهر الحياة في

---

١ - السابق ج ٨ ص ٢٧٣.

٢ - السابق ج ٩ ص ١٤.

٣ - السابق ج ٩ ص ١٤، ١٥.

٤ - ابن حوقل: صورة الأرض ص ٢٦٤.

٥ - ابن الجوزي: المنتظم ج ٧ ص ٨٧.

٦ - ابن الأثير: الكامل ج ٨ ص ٣٣٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هذه البلاد "**وبقيت الأسواق فارغة والبيوت خالية**"[1]، وقد عبر ابن الجوزي عن حالة الكساد هذه قالاً: "**والناس يمرون في هذه البلاد فلا يرون إلا أسواقاً فارغة..... وطويت التجارات وأمور الدنيا**"[2]، كما **تهدمت بعض الأسواق** نتيجة للزلازل مثلما حدث لأسواق مدينة تبريز سنة ٤٣٤هـ/١٠٤٢م[3].

كما لا يخفى أن ما أصاب الزراعة والثروة الحيوانية من أضرار، وما صاحب ذلك من غلاء للأسعار[4] لابد أن يؤثر سلباً على حركة التجارة، هذا بالإضافة إلى أن انقطاع الطرق[5]، وافتقاد بعض وسائل النقل والمواصلات التي يعتمد عليها التجار في حمل تجاراتهم وجلبها من الداخل أو الخارج كان له تأثره السلبي أيضاً على حركة التجارة، فبالإضافة إلى هلاك كثير من الدواب نتيجة الأخطار والكوارث -كما سبق أن بيَّن البحث - فإن وسائل المواصلات البحرية التي يعتمد عليها في نقل البضائع والتجارات بين البلدان تضررت هي الأخرى بهذه الأخطار والكوارث، فحين زُلزِلت سيراف سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٧م "**غرقت فيها عدة مراكب**"[6]، وفي السنة نفسها هبت ريح عاصفة "**أغرقت مراكب كثيرة في بحر فارس**"[7]، وكانت هذه الرياح والأعاصير كثيراً ما تؤثر على حركة

---

١ - ابن العماد: شذرات الذهب ج ٢ ص ٢٧٩.

٢ - المنتظم ج ٨ ص ١٧٩، ١٨٠.

٣ - السابق ج ٨ ص ١١٤.

٤ - راجع ص ٢٦، ٢٧ من هذا البحث.

٥ - راجع ص ٣٠، ٣١ من هذا البحث.

٦ - ابن الجوزي: المنتظم ٧ ص ٢٣٨، ابن العماد: شذرات الذهب ج ٢ ص ١٥٠.

٧ - ابن العبري: تاريخ الزمان ص ٧٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الملاحة، وتضر بالسفن بسبب هيجان البحر مما دفع أصحابها إلى اتخاذ التدابير اللازمة لحمايتها أثناء هيجان البحر[1]، كما سيبين البحث في موضعه.

٣- الآثار العسكرية:

تركت الأخطار والكوارث الطبيعية آثارها السيئة على النواحي العسكرية، **فبالإضافة إلى تهدم بعض المنشآت العسكرية من أسوار وقلاع وحصون جراء هذه الأخطار والكوارث[2]، فإنها لعبت دوراً خطير في مصير بعض المعارك العسكرية ونتائجها**، ففي سنة ٢٢٠هـ/٨٣٥م سارت قوات العباسيين بقيادة الأفشين[3] وبغا الكبير[4]، لقتال

---

١ - ابن حوقل: صورة الأرض ص ٣٢٩.

٢ - ابن الجوزي: المنتظم ج ٨ ص ١١٤، ابن الأثير: الكامل ج ٨ ص ٢٦٠، ابن العبري: تاريخ الزمان ص ٩١، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٣٥.

٣ _ هو حيدر بن كاوس الصغدي المعروف بالأفشين، كان من كبار قواد الدول العباسية، وله جهود عظيمة في محاربة الخارجين عليها وفي مقدمتهم بابك الخرمي الذي أحرج قوات العباسيين إلى أن تمكن الأفشين من القضاء عليه، ولكن ذلك لم يشفع له عند المعتصم العباسي الذي استجاب لوشاية الواشين به وفي مقدمتهم عبد الله بن طاهر الذي كان بينه وبين الأفشين عداوة فقبض المعتصم عليه، ومنع عنه الطعام، ثم قتله وصلبه، بعد أن اتهم بالمجوسية، وذلك سنة ٢٢٦ه/٨٤٠م[الذهبي: سير أعلام النبلاء ج ١٠ ص ٢٩٣ _ ٣٠٠، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢١٢، ٢٣٢، ٢٤٧، ابن العماد: شذرات الذهب ج ١ ص ٥٨].

٤ - هو أبو موسى بغا الكبير التركي، مقدم قواد الخلافة العباسية، وكان بطلاً شجاعاً مقداماً له عدة فتوح ومواقع، وباشر كثيراً من الحروب ضد الخارجين على سلطان الخلافة العباسية ومنهم بابك الخرمي، وتوفي سنة٢٤٨ه/٨٦٢م عن سن عالية[ابن الأثير: الكامل ج ٦ ص ٢٠، ٢٥، ٢٦، ٥٧، ٦٤، ٨١، ابن العماد: شذرات الذهب ج ١ ص ٤٨، ٨٧، ١١٧].

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بابك الخرمي[1]، وصعدت وهي في طريقها إليه أحد الجبال الحصينة لتعسكر فيه ليلتها ثم تنحدر من الغد للقائه "**فجاءهم في تلك الليلة سحاب وبرد ومطر وثلج كثير، فلم يقدر أحد حين أصبحوا أن ينزل من الجبل يأخذ ماءً ولا يسقي دابته من شدة البرد وكثرة الثلج، وكأنهم كانوا في ليل من شدة الظلمة والضباب، فلما كان اليوم الثالث قال الناس لبغا قد فني ما معنا من الزاد، وقد أضر بنا البرد، فانزل على أية حال كانت، إما راجعين وإما إلى الكافر، وكان في أيام الضباب، فبيت بابكُ الأفشينَ ونقض عسكره، وانصرف الأفشين عنه**"[2]. ولما خرج الأفشين بقواته من معسكره ببَرْزَند[3] لمحاربة بابك الخرمي أقام يحاربه حولاً كاملاً حتى كثرت الثلوج **فقفل عائداً إلى بَرْزَند سنة ٢٢٢هـ/٨٣٦م**[4]، **وهكذا حالت الأمطار وموجات البرد الشديد والثلوج دون أن يحقق أحد الخصمين انتصاراً على الآخر، وأرغمت بغا والأفشين في المرتين على أن يعودا بقواتهما من حيث أتيا دون أن يحققا مأربهما في صراعهما ضد بابك.**

وفي سنة ٢٦٠هـ/٨٧٣م حارب يعقوبُ بن الليث الصفار الحسنَ بن زيد العلوي وهزمه، وأخذ يطارده في بعض جبال طبرستان "**فتتابعت عليه الأمطار**

---

١ - هو زنديق خارج عن الملة ظهر بأذربيجان سنة ٢٠١هـ/٨١٦م، وكان يضرب بفرط شجاعته الأمثال، فهزم جيوس العباسيين ن واستولى على عدة مدن، وكان يقول بتناسخ الأرواح، وعاث في الأرض فساداً إلى أن هُزِم وقتل سنة ٢٢٢هـ/٨٣٦م[الذهبي: سير أعلام النبلاء ج ١٠ ص ٢٨٤، ج ١٣ ص ٤٦٩، ابن العماد: شذرات الذهب ج ١ ص ٢].

٢ - الطبي: تاريخ الطبري ج ٥ ص ٢١٧، وانظر ابن الأثير: الكامل ج ٦ ص ٢٥، ٢٦، وفيه أن ذلك كان سنة ٢٢١هـ/٨٣٥م.

٣ - بلدة من نواحي أذربيجان[ياقوت معجم البلدان ج ١ ص ٣٨٢].

٤ - اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ج٢ ص ٤٧٣، ٤٧٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نحواً من أربعين يوماً، فلم يتخلص إلا بمشقة شديدة، وهلك عامة ما معه من الظهر"[1]، ويزيد الذهبي الأمر تفصيلاً فيقول: "**ونزل الثلج والأمطار على أصحاب يعقوب، فتلف منهم خلق واندعكوا. ورجع يعقوب بأسوا حال، وقد عُدم من أصحابه أربعون ألفاً، وذهب عامة خيله**"[2]. وفي المعارك التي دارت بين أبي علي بن محتاج قائد جيوش السامانيين ووشمكير بن زيار، **توالت الأمطار واشتدت موجة البرد فاضطر وشمكير إلى طلب الموادعة، فصالحه أبو علي على لزوم طاعة الأمير نصر بن أحمد الساماني، وذلك سنة ٣٣١هـ/٩٤٢م**[3].

ولما حاصر أبو علي بن محتاج الري سنة٣٤٤هـ/٩٥٥م محاولاً الاستيلاء **وقع بها وباء عظيم راح ضحيته أبو علي بن محتاج وولده** [4]، **وعاد من كان معه من القواد إلى خراسان**[5]، **وهكذا أفسد الوباء على علي بن محتاج فرصة الاستيلاء على الري، فنجت من الحصار**، وإن لم تنج من الآثار الوخيمة للوباء الذي "مات فيه من الخلق ما لا يحصى"[6].

---

١ - ابن الأثير: الكامل ج ٦ ص ٢٤٦.

٢ - تاريخ الإسلام حوادث ووفيات ٢٥١ _ ٢٦٠هـ، ص ٣١، وانظر ابن العماد: شذرات الذهب ج ١ ص ١٤٠.

٣ - ابن الأثير: الكامل ج ٧ ص ١٦٦.

٤ - ابن الأثير: الكامل ج ٧ ص ٢٥٣، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٣١٣، ابن العماد: شذرات الذهب ج ١ ص ٣٦٦.

٥ - ابن الأثير: الكامل ج ٧ ص ٢٥٣.

٦ - السابق الجزء نفسه والصفحة نفسها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفي سنة ٣٨٨هـ/٩٩٨م تمكن شمس المعالي قابوس بن وشمكير بن زيار من طرد البويهيين من جرجان والاستيلاء عليها، فسارت إليه قوات مجد الدولة أبي طالب رستم بن فخر الدولة علي البويهي من الري، وحاصرت جرجان، ولكن **توالت عليهم الأمطار والرياح، فاضطروا إلى الرحيل، فتبعهم شمس المعالي، فلحقهم، فاقتتلوا، وانهزم عسكر الري**"[1]. وفي سنة ٤٠١هـ/١٠١٠م سار أيلك خان[2] في جيوش قاصداً أخاه طغان خان[3]، **فلما بلغ أوزكَنْد سقط من الثلج ما منعهم من سلوك الطرق، فعاد إلى سمرقند**"[4].

وخلال فتوحات السلطان محمود الغزنوي اتجه في سنة ٤٠٦هـ/١٠١٥م من غزنين إلى كسمير، فلما وصل إلى واديها اشتد البرد أثناء حصاره أحد الحصون المنيعة في هذا الوادي "**وحينما استعد ليستولي على هذا الحصن حلت البرودة الشديدة وتساقطت الثلوج وتجمدت حتى أصبحت الأيدي لا تتحرك من شدة**

---

١ - ابن الأثير: الكامل ج ٧ ص ٤٩٥.

٢ - تولى أمر الترك بما وراء النهر بعد وفاة بغرا خان سنة٣٨٣هـ/٩٩٣م، وتمكن من أخذ البلاد من آل سامان بعد عدة حروب، وكان ظالماً مهيباً شديد الوطء، وتوفي سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م[ابن الأثير: الكامل ج ٧ ص ٤٦٣، ٤٧٠، الذهبي: سير أعلام النبلاء ج ١٥ ص ١٣٣، ج ١٧ ص ٩٢، ٩٣، ١١٧، ١٦٢].

٣ - تولى الأمر بعد أخيه أيلك خان سنة٤٠٣هـ/١٠١٢م، وكانت قد جرت بينهما عدة حروب، كما خاض عدة حروب ضد الترك الكفار سكان الصين، وكان خيراً عادلاً حسن السيرة، محباً للدين وأهله، وتوفي سنة ٤٠٨هـ/١٠١٧م[ابن الأثير: الكامل ج ٨ ص ٦٣، ٧٦، ١١٦، الذهبي: سير أعلام النبلاء ج ١٧ ص ١٦٢].

٤ - ابن الأثير :الكامل ج ٨ ص ٦٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

البرودة..... **فرجع عن هذا الحصن**، وخرج إلى الصحراء من تلك الجبال والوديان. ولما حل الربيع رجع إلى غزنين"[1].

وحين حاصرت قوات السلطان السلجوقي ألب أرسلان بقيادة وزيره نظام الملك حصن فضلون ببلاد فارس سنة ٤٦٤هـ/١٠٧١م - وكان من أمنع الحصون - لم تتمكن من فتحه لعلوه وارتفاعه إلى أن حدثت المفاجأة أثناء الحصار حين طلب أهل الحصن الأمان من نظام الملك وتسليم الحصن له "**وكان السبب فيه أن جميع الآبار التي بالقلعة غارت مياهها في ليلة واحدة، فقادتهم ضرورة العطش إلى التسليم**"[2].

وهكذا يتبين لنا أن الأخطار والكوارث الطبيعية قد لعبت دوراً خطيراً في تحديد مصير بعض المعارك بالإضافة إلى ما أحدثته من تخريب للمنشآت العسكرية.

رابعاً: الحياة العلمية:

من الطبيعي أن تكون الحياة العلمية قد تأثرت سلباً بالأخطار والكوارث، إذ لا شك أن عدد من العلماء قد لقوا حتفهم ضمن من توفوا جراء هذه الأخطار وتلك الكوارث، كما تهدمت بعض المؤسسات العلمية وفي مقدمتها المساجد، لكن على الرغم من ذلك تبقى الحياة العلمية أحسن حالاً من حيث التأثر السلبي بهذه الأخطار والكوارث مقارنة بمناحي الحياة الأخرى، إذ أدت بعض المشكلات التي تعرضت لها المنطقة نتيجة الأخطار والكوارث إلى نتائج إيجابية على الحياة العلمية، فإن موجات الجفاف وحالات القحط التي عانت هذه المنطقة من

---

١ - كرديزي: زين الأخبار ج ٢ ص ٢٩٢، ٢٩٣.

٢ - ابن الأثير: الكامل ج ٨ ص ٣٩٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويلاتها كثيراً جعلت الماء يمثل ثروة يتنافس الناس من أجل الحصول عليها، ومن ثم كثر التخاصم من أجل الحصول على الماء في خراسان التي كان لها حظها من موجات الجفاف والقحط[1]، **الأمر الذي جعل عبد الله بن طاهر (٢١٣ _ ٢٣٠هـ/٨٢٨ _ ٨٤٤م) صاحب خراسان يطلب من العلماء تصنيف كتاب في أحكام القني فكان ذلك باباً جديداً طرقه العلماء وسد فراغاً في المكتبة الإسلامية، يقول الكرديزي: "وكان أهل نيسابور وخراسان يفدون على عبد الله دائماً، ويختصمون في القني، ولم يرد في كتب الفقه وأخبار الرسول _ صلى الله عليه وسلم _ في معنى القني وأحكامها شيئاً، فجمع عبد الله فقهاء خراسان وبعض فقهاء العراق ووضعوا كتاباً في أحكام القني أسموه كتاب القني"**[2].

ولم يتوقف الأثر الإيجابي للأخطار والكوارث الطبيعية على الحياة العلمية عند حد التصنيف النظري فحسب، **بل تعدى ذلك إلى الناحية العملية، إذ دفعتهم الحاجة إلى مواجهة الرمال المتحركة إلى المهارة في علم الميكانيا والاهتمام بالحيل الميكانيكية، وابتكار وسائل عملية لمواجهة زحف المال على المدن والقرى ودفع ضررها، يقول ابن حوقل عن مدينة زرنج قصبة سجستان: "وتنتقل رمالهم من مكان إلى مكان، ولولا أنهم يحتالون فيها بسياسات قد توارثوها قديماً يقيمونها بهندسة يتَّليها رجال منهم، لطمت المدن والقرى بها"**[3]، وسوف يأتي ذكر هذه السياسات وتلك الأساليب في المبحث الخاص بأساليب مواجهة الأخطار والكوارث في الصفحات التالية.

---

١ - راجع ص ١٢، ١٣ من هذا البحث.

٢ - زين الأخبار ج ١ص ٢١٧، ٢١٨.

٣ - صورة الأرض ص ٣٥٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الثالث

أساليب مواجهة الأخطار والكوارث الطبيعية

تبين من خلال المبحثين السابقين أن الأخطار والكوارث الطبيعية التي أصابت بلدان الخلافة الشرقية خلال الفترة موضوع البحث كانت متنوعة وأن آثارها على مختلف مناحي الحياة كانت وخيمة وسلبية في الأعم الأغلب، وقد حاولت الحكومات والشعوب مواجهة هذه الأخطار والكوارث الطبيعية وما ترتب عليها من آثار إلا أن الجهد المبذول لم يتناسب مع مستوى الأحداث وحجم الخسائر، ولكي نكون منصفين في الحكم على قدر هذا الجهد المبذول ينبغي علينا أن نحاسب من بذلوه حكاماً ومحكومين حسب معطيات العصر الذي عاشوا فيه وليس حسب معطيات عصرنا الحالي مما يجعلنا نلتمس بعض العذر لهم في تقصيرهم، لأن كثيراً من الأخطار والكوارث التي تعرضت لها بلادهم، وبخاصة الكوارث المناخية والجيولوجية لم تصل الدول المتقدمة في عصرنا الحالي بعدُ – على الرغم من التقدم العلمي الذي يشهده العالم – لأية وسيلة لمنع حدوثها أو التقليل من قوتها، فما بالنا بحكومات وشعوب وُجدتْ قبل بداية القرن السادس الهجري، **وفيما يلي يدور الحديث عن أساليب المواجهة والجهود المبذولة من قِبَل هذه الحكومات والشعوب لمواجهة هذه الأخطار والكوارث وآثارها:**

أولا: مواجهة الزلازل وآثارها:

١ـ إيجاد مأوى للمنكوبين:

لاشك أن اتساع دائرة التدمير الناتج عن الزلازل كان يتطلب إيجاد مأوى للمنكوبين مما يؤدي إلى سرعة بناء وحدات سكنية غير ملائمة إلى أن يتم بناء

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ما تهدم[1]، وهذا ما حدث بالفعل حين ضربت الزلازل مدينة الدينور سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٧م حيث **تم بناء أكواخ في الصحراء أقام فيها الناجون من أهل المدينة ممن تهدمت بيوتهم**[2].

٢- إعادة بناء ما تهدم من المباني والمنشآت:

وخير شاهد على ذلك مدينة تبريز التي دمرتها الزلازل مرتين، الأولى سنة ٢٤٤هـ/٨٥٨م[3]، والثانية سنة ٤٣٤هـ/١٠٤٣م[4]، **وقد أُعيد بناؤها في كل مرة، ولم يُكتَفَ بذلك وإنما تم تحصينها بعد بنائها بسور محيطه ستة آلاف خطوة، له عشرة أبواب، وظلت على ذلك حتى المائة الثامنة للهجرة**[5].

وحين ضربت الزلازل خراسان سنة ٤٤٤هـ/١٠٥٢م تهدمت كثير من المباني والمنشآت في مدينة بيهق، ويُفهم من كلام ابن الأثير أنه تم تجديد ما تهدم إلا **سور المدينة الذي ظل خراباً إلى سنة ٤٦٤هـ/١٠٧١م، فأمر الوزير السلجوقي نظام الملك ببنائه**[6].

---

١ - د. محسوب، د. أرباب: الأخطار والكوارث ص ٤٧.

٢ - ابن الجوزي: المنتظم ج ٧ ص ٢٣٨، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢١٨.

٣ - كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص ١٩٦.

٤ - ابن الجوزي: المنتظم ج ٨ ص ١١٤، ابن الأثير: الكامل ج ٨ ص ٢٦٠، ابن العبري: تاريخ الزمان ص ٩١، وابن العماد: شذرات الذهب ج ٢ ص ٢٥٣، ٢٥٤.

٥ - كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص ١٩٦.

٦ - الكامل ج ٨ ص ٣١٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثانياً: مواجهة أخطار السيول والفيضانات والأمطار والثلوج وموجات البرد والحر:

اتخذت الحكومات والشعوب مجموعة من الإجراءات لمواجهة السيول والفيضانات والثلوج وموجات البرد والحر، منها ما يتعلق بإقامة منشآت تدفع خطر هذه الكوارث كبناء السدود والقناطر، وكذا إنشاء بعض المرافق في الشوارع والطرق لصرف مياه السيول والأمطار إليها، أو إعادة تخطيط المدن وبنائها بعيداً عن مجرى السيول والفيضانات، وكذلك تصميم المباني بطريقة تجعلها أقل عرضة للمخاطر، وتخطيطها من الداخل تخطيطاً يضمن لساكنيها تفادي أضرار موجات الصقيع والحر، وغير ذلك من الإجراءات، كما سيتضح فيما يلي:

١- بناء السدود والقناطر:

كانت مياه السيول والفيضانات كثيراً ما تضر بالمدن والقرى وما بها من دور ومنشآت وحقول[١]، لذا كان من الضروري حمايتها من هذه المخاطر بإنشاء السدود الخاصة بإعاقة التدفقات السيلية في مواضع ملائمة، وذلك بهدف ضمان السيطرة الكاملة على جميع أجزاء الوادي المعرض للسيل[٢]، لحماية ما قرب منه من الدور والمباني، وخير شاهد على ذلك مدينة قزوين التي كانت تفيض أوديتها "فتضر بالدور والعمارات"[٣]، فلما قدم دلف بن عبد العزيز بن أبي دلف

---

١ - ابن حوقل: صورة الأرض ص ٣٩٥، القزويني: التدوين في أخبار قزوين ج ١ ص ٤٩.

٢ - د. محسوب، د. أرباب: الأخطار والكوارث ص ١٠١.

٣ - القزويني: التدوين في أخبار قزوين ج ١ ص ٤٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

العجلي[1] قزوين وتوطنها **بنى على وادي زرارة أحد أودية قزوين السد المعروف باسمه "لصرف الماء عن العمران"**[2] كذلك أُقيمت السدود على الأنهار التي كانت تفيض فتضر بما جاورها من المدن، يقول كي لسترنج عن إقليم خوارزم: "كان لإقليم خوارزم في صدر العصور الوسطى قصبتان: الأولى في الجانب الغربي، أي الفارسي من نهر جيحون تُسمَّى الجرجانية..... والجرجانية على غلوة من غرب نهر كبير تجري فيه السفن، يأخذ من جيحون ويجري محاذياً له. **وقد احتالوا في رد خطر الماء بإقامة السدود"**[3].

وإذا كان هذه السدود قد أنشئت لدفع خطر مياه الفيضانات والسيول عن العمران فإن هناك سدوداً كانت تُقام على الروافد الرئيسة التي تعمل على تجميع سريع للجريان المائي من مناطق الإمدادات، ويتم بعد ذلك إطلاقه في وقت لاحق بعد أن تنتهي أخطار الفيضان، أو إقامة هذه السدود في مواضع ملائمة من الأنهار الرئيسة وتخزين المياه في بحيرة خلفها لتجميع مياه الفيضانات وحفظها[4]، للانتفاع بها وتوزيعها على المناطق المختلفة في المدن، وهو ما تم فعله على نهر مدينة مرو الذي يمر جنوبها في القرن الرابع الهجري، يقول كي

---

١ - هو الأمير دلف بن عبد العزيز بن أبي دلف العجلي، كان أبوه قد خرج بالكرج عن سلطان العباسيين، ودارت بينه وبين قائدهم موسى بن بغا عدة مواقع، كما حارب الحسن بن زيد العلوي صاحب طبرستان، وكان لابنه دلف جهود كبيرة في عهد والده، ويعتمد عليه في فتوحاته، وهو الذي تولى الأمر بعد والده إلى أن قتل سنة ٢٦٥هـ/٨٧٨م، فتولى الأمر من بعده أخوه أحمد بن عبد العزيز[ابن الأثير: الكامل ج ٦ ص ١٨٩، ١٩٦، ٢٨٤، الذهبي: سير أعلام النبلاء ج ١٢ ص ٥٣٤].

٢ - القزويني: التدوين في أخبار قزوين ج ١ ص ٤٩،

٣ - بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٨٩ - ٤٩١.

٤ - د. محسوب، د. أرباب: الأخطار والكوارث ص ١٠٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لسترنج: "وعلى فرسخ من جنوب مدينة مرو الكبرى أقيم في النهر سد شبه حوض عظيم مستدير منه تخرج أربعة أنهار إلى محلات وأرباض المدينة المختلفة. وقد أقيم في الحوض أبواب ومقاسم تضبط علو الماء في الحوض، ويبتهج الناس حين يصل الفيضان حداً عالياً، فتفتح السدود المختلفة، ويوزع الماء على الأنهار قدر الحاجة"[1]، وفي القرن الرابع الهجري بني عضد الدولة بن بويه سكْراً (سداً) يعتبر من عجائب بلاد الفرس، وذلك على النهر بين شيراز واصطخر، "وكان السكْر عبارة عن حائط أساسه من الرصاص، بناه في عرض النهر. فتبحَّر الماء خلفه وارتفع، فجعل عليه من الجانبين عشرة دواليب[2]، وتحت كل دولاب رحى، وأجرى عضد الدولة الماء في قنوات فسقى ثلاثمائة قرية"[3]، ولعل هذا وذاك أشبه بما تم فعله على نهر النيل في العصر الحديث بإقامة السد العالي وتخزين المياه في البحيرة التي خلفه وحفظها والانتفاع بها بعد أن كانت تهدر كميات كبيرة منها قبل بنائه، وفي ذلك دلالة على أن الحضارة الإسلامية كانت سابقة للحضارة الحديثة في هذا المجال.

وهكذا نجد أن دور السدود لم يتوقف عند حماية العمران والحقول من خطر الفيضانات، بل تم استغلال مياه الفيضانات التي تحفظها السدود في مشاريع الري في بلدان الخلافة الشرقية، يقول آدم متز: "وكانت طريقة الري هي تحويل

---

١ - بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٤٠.

٢ - مفردها الدُولاب أو الدَّوْلاب وهو آلة تشبه الناعورة يُسقى بها الماء، وهو لفظ فارسي معرب[ابن منظور: لسان العرب ج ١ ص ٣٧٧].

٣ - آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع ج ٢ ص ٢٨٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ماء النهيرات بإنشاء سدود حتى لا تصل مياه النهيرات إلى الوادي، بل تفيض على ما حولها..... كما هو الحال في سدود أفغانستان"[1].

هذا عن السدود **أما القناطر** التي تم إنشاؤها لمواجهة أخطار الفيضانات فمنها **القنطرة المقامة من الحجارة على النهر بسمرقند المعروفة باسم قنطرة جَرْد[2]**، وأما **قنطرة إيْذَج[3]** فقد حظيت بعناية كبيرة نظراً لكونها مقامة في منطقة كثيرة الزلازل، وذلك حتى لا تتأثر بأخطارها، يقول ياقوت: **"وقنطرة إيْذَج من عجائب الدنيا المذكورة، لأنها مبنية بالصخر على وادٍ يابس بعيد القعر، وإيْذَج كثيرة الزلازل..... ودونها بفرسخين صَوْر من الماء، وهو مجمع أنهار، وكل ماء دائر يُسمَّى صَوْراً"[4]**، ومن مظاهر العناية بهذه القنطرة أنها كانت **تحظى بأعمال الصيانة من قِبَل الحكومات القائمة فقد تم تجديدها في المائة الرابعة للهجرة على يد الوزير البويهي أبي عبد الله محمد بن أحمد القمي"[5].**

٢- إقامة المقاييس في الأنهار:

ومن أساليب المواجهة التي اتخذتها الجهات المسئولة إقامة مقاييس لمعرفة منسوب الماء في النهر، وما إذا كانت السنة سنة فيضان أو قحط حتى يحتاط الناس للأمر، يقول كي لسترنج في ثنايا حديثه عن نهر مرو والسد المقام عليه:

---

١ - السابق ج ٢ ص ٢٨٦.

٢ - ابن حوقل: صورة الأرض ص ٤٠٩، كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص ٥١١.

٣ - كورة وبلدة بين خوزستان وأصبهان، وهي من أجلّ مدن هذه الكورة، وهي في وسط الجبال، ومزارعهم على الأمطار[ياقوت: معجم البلدان ج ١ ص ٢٨٨].

٤ - السابق الجزء نفسه، والصفحة نفسها.

٥ - كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص ٢٨٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"وقد أقيم لوح على السد لقياس علو الماء وقت الفيضان. وربما علا الماء فبلغ طوله ستين شعيرة، ويستبشر الناس بذلك، وإذا كانت ست شعيرات كانت سنة قحط"[1].

٣- إسناد مهمة الإشراف على هذه المنشآت إلى موظفين لإدارتها وصيانتها:

وحرصاً على أن تؤدي هذه المنشآت وظيفتها بكفاءة عالية فقد تم تعين هيئة للإشراف عليها وصيانتها، يقول ابن حوقل في حديثه عن وادي الصَّغُد: "وعلى هذا الماء والٍ جليل بسمرقند وقوم مثبتون منزلون لسد بثوقه ومجاري أنهاره وسكوره"[2]، وأما السد المقام على نهر مرو فقد كان عليه في المائة الرابعة للهجرة "أمير لحمايته، تحت يده عشرة آلاف رجل، وعليه حراس يحفظونه لئلا ينبثق"[3]، وكان لكل رجل من هؤلاء عمل معين يؤديه خلال وظيفته، فمنهم مكلفون بقياس علو الماء وقت الفيضان وكذلك انخفاض منسوب الماء وقت الجفاف، ومنهم مكلفون بصيانة الألواح التي بدأت تتآكل نتيجة قدمها[4].

٤- إعادة تخطيط المدن وإقامتها في أماكن بعيدة عن الخطر المحتمل:

كانت بعض المدن _ كما سبق أن بين البحث _ تتعرض لأخطار السيول وفيضانات الأنهار القريبة منها، فتصيبها أضرار فادحة، وخير شاهد على ذلك مدينة كاث التي كانت تبعد قليلاً عن نهر جيحون فخربتها فيضاناته، لذا وجد أهل هذه المنطقة أنه لابد من إعادة تخطيط المدينة وبنائها على مسافة أكثر

---

١ - بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٤٠.

٢ - صورة الأرض ص ٤٠٩.

٣ - كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٤٠.

٤ - العمادي: خراسان في العصر الغزنوي ص ١٢٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بعداً عن النهر تقيها عواقب طغيانه، فابتنَوا مدينة جديدة بالقرب منها هي الجرجانية[1].

٥- تصميم المباني وتخطيطها بطريقة تجعلها وتجعل ساكنيها أقل تأثراً بالأخطار والكوارث:

من أساليب المواجهة لتفادي أضرار الأخطار والكوارث الطبيعية تصميم المباني من الخارج بطريقة تجعلها أكثر مقاومة للأخطار والكوارث، وتخطيطها من الداخل تخطيطاً يحمي ساكنيها من تقلبات الطقس وقسوته، أما فيما يتعلق بتصميم المباني بطريقة تجعلها أكثر مقاومة لما تتعرض له من أخطار وكوارث، **فخير شاهد عليه مدينة طبرستان وهي كثيرة الأمطار، وربما اتصل المطر سنة كاملة صيفاً وشتاءً فلا يرَون فيها الشمس، لذا جعلوا سطوح بيوتهم مسنمة بالقراميد"[2]، ليضمنوا عدم تراكم مياه الأمطار فوق سطوح المنازل مما يقيها ويقي ما تحتها من التلف.**

وأما ما يتعلق بتخطيط المدن من الداخل بطريقة تحمي ساكنيها من تقلبات الطقس وقسوته فيدلل عليه قول الكرديزي عن بعض المناطق التي يسكنها الغز في بلاد ما وراء النهر: **قارسة البرودة في الشتاء يسقط بها ثلج قليل، وفي الصيف تكون شديدة الحر، وبسبب الحرارة بنى أهل تلك البلاد سراديب في**

---

١ - ابن حوقل: صورة الأرض ص ٣٩٥، كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٨٩، ٤٩٠.

٢ - ابن حوقل: صورة الأرض ص ٣٢٣، كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص ٤١٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بيوتهم يحتمون بها من الحرارة، وهم يمكثون بها كثيراً، ويهربون من أمطار تلك الصحراء في بيوتهم[1].

وكذلك كان الحال في مدينة زَرَنْج قصبة إقليم سجستان حيث اتخذ أهلها مجموعة من الإجراءات في بيوتهم للوقاية منْ شدة حر مدينتهم يقول كي لسترنج: "وكانت المياه وافرة في أنحاء زرنج، تجري إليها أنهار صغيرة وقني متصلة، وبيوت الربض تجري إليها المياه في قني، ولا غنى عن هذه المياه لشدة حر المدينة، وفي كل بيت سرداب يعيش فيه الناس في فصل القيظ لاشتداد الحرارة في زرنج"[2].

ومما يتعلق بالإجراءات التي اتخذها السكان في بيوتهم لتفادي الآثار السلبية للأخطار والكوارث الطبيعية صنع خزانات من الخشب تحت الأرض لحفظ الماء من التجمد في الشتاء حتى يوفروا الماء لهم ولدوابهم، وهذا ما يتضح من خلال كلام الكرديزي عن شعب الكيماك[3]: "وفي هذه النواحي تسقط كثير من الثلوج ويكون ارتفاع الثلوج مقدار بوصة فوق الأرض..... ومن أجل الشتاء صنعوا من الخشب أماكن للماء تحت الأرض، وحينما تجمد الثلوج، ولا تستطيع دوابهم أن تشرب، فإنهم يشربون من الماء الذي ادخروه في أول أشهر الصيف"[4].

---

١ - زين الأخبار ج ٢ ص ٤٥٥.

٢ - بلدان الخلافة الشرقية ص ٣٧٥.

٣ - شعب من الأتراك يسكنون وراء نهر سيحون بالقرب من فاراب[الكرديزي: زين الأخبار ج ٢ ص ٤٣٨].

٤ - السابق ج ٢ ص ٤٤٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٥- إنشاء بعض المرافق في الشوارع والأماكن العامة واتخاذ بعض التدابير لحمايتها من الأمطار والثلوج والسيول:

ومن هذه المرافق **حفر البواليع**[١] **لصرف مياه الأمطار والسيول إليها**[٢]، ومن التدابير التي كان الديالمة يتخذونها في بلادهم أنهم كانوا: "**إذا وقعت عندهم الثلوج أرسلوا النهر في الشوارع، فحملت الثلج، وغسلت الأزقة**"[٣]، ومن التدابير والإجراءات لمواجهة أخطار الثلوج **القيام بكسحها** لتنظيف الشوارع والطرقات[٤].

كذلك اتخذ بعض المسئولين مجموعة من التدابير لحماية الأماكن العامة من الأمطار والثلوج مثل ما قام به الأمير نصر بن سبكتكين الغزنوي[٥] في مدينتي نيسابور وبلخ من **تزيين الشوارع والأسواق وإقامة سقوف لها لحماية الناس والبضائع المعروضة من الأمطار والغبار**[٦].

---

١ - جمع بالُوعة أو بلُوعة، وهي بئر تحفر في وسط الدار ويُضيَّق رأسها يجري فيها المطر، وتجمع أيضاً على بلاليع[ابن منظور: لسان العرب ج ٨ ص ٢٠ مادة بلع].

٢ - الأصفهاني: سني ملوك الأرض ص ١٤٩، ١٥٠.

٣ - أحسن التقاسيم ص ٢٥٠.

٤ - الأصفهاني: سني ملوك الأرض ص ١٤٩.

٥ - هو أخو السلطان محمود بن سبكتكين تولى قيادة الجيوش الغزنوية في خراسان في عهد أخيه السلطان محمود، وكان بالإضافة إلى ذلك شعلة من النشاط فاهتم بالحركة العمرانية ونشر العدل، وكان أميناً يحبه الناس، ويراقب أعمال السوق والتجارة[للمزيد عن جهود هذا الأمير انظر العمادي: خراسان في العصر الغزنوي ص ٨٩، ٩٩].

٦ - السابق ص ٩٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كما كان للوزير أبي علي حسن بن محمد، المعروف بحسنك ميكال[1] جهوده في هذا المضمار، حيث "**قام بتغطية الشوارع والأسواق والمخازن المكشوفة، وذلك لحفظ المواد الغذائية من الغبار وتأثير الرياح والثلوج على مدار السنة، وكان هذا العمل الخيري الأول من نوعه يقوم به شخص لمصلحة العامة، وقد انفق عليه مبلغ مائة ألف دينار من حسابه الخاص**"[2].

٦- وضع إرشادات على الطرق ليسيرَ المسافرون على هديها:

لم تنصرف العناية بالمنكوبين إلى المقيمين فحسب، وإنما وجد المسافرون قدراً من العناية حتى لا يضلوا الطريق، فكانت توضع بعض الإرشادات ليسيروا على هديها، وهذا ما يتضح من حديث ناصر خسرو أثناء رحلته، إذ يقول: "**وكانت السماء تمطر ثلجاً والبرد قارساً، وقد غرسوا في جزء من الطريق عُمداً ليسير المسافرون على هديها أيام الثلج والضباب**"[3].

٧- إقامة الرباطات على الطرق:

ومن قبيل العناية أيضاً بالمسافرين إقامة الرباطات على الطرق ليستجير بها المسافرون من قسوة البرد وحرارة الصيف، يقول ابن حوقل: "**وليس يستدرك من مفازة فارس وخراسان غير علم الطريق، وما يعرض في أضعاف طرقها**

---

١ - هو وزير السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي، كان ملازماً له، موصوفاً بحلاوة الحديث وحسن التصرف[غياث الدين خواندمير: دستور الوزراء ص ٢٣٨، ترجمة وتعليق د. حربي أمين سليمان، تقديم د. فؤاد عبد المعطي الصياد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٠م].

٢ - العمادي: خراسان في العصر الغزنوي ص ١٧٥.

٣ - سفرنامه ص ٤٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من المنازل والرباطات الموقوفة على سابلة الطريق ليستجار بها في شدة البرد من الثلوج، وفي شدة القيظ من الحر"[1].

ومن أشهر هذه الرباطات رباط ميله على ثلاث مراحل من بلخ، وقد وصفه ابن حوقل بقوله "وهو أجل رباط حُسناً في نفسه ونفعاً في موضعه، لشدة الحاجة إليه في مكانه وكثرة ضرورة الناس إلى الاستغاثة والاستعانة به في المخارق، وعند إناخة العدو والثلوج، وتوقُّع المتالف، وهو حصين في ذاته بعُلُوّه وسُمكه، فسيح المباني واسع الأفنية، لو نزل به عسكر لأقله وملك عظيم لستر جيشه وأظله..... وعليه الحُبُس لنفقاته ومؤنه ومرماته"[2]

ثالثاً: مواجهة أخطار الجفاف:

كذلك اتُخِذت مجموعة من التدابير لمواجهة أخطار الجفاف، منها:

١- إقامة المقاييس:

سبق أن ذكرنا أن إنشاء المقاييس في الأنهار كان من التدابير التي تم اتخاذها للتنبؤ بما إذا كانت السنة سنة فيضان أو سنة جفاف[3] حتى يتسنى للجميع اتخاذ الوسائل اللازمة لمواجهتها، كما تم توظيف مجموعة من العمال لقياس انخفاض منسوب الماء وقت الجفاف أو الفيضان[4].

---

١ - صورة الأرض ص ٣٤٠.

٢ - السابق ص ٣٧٨.

٣ - راجع ص ٤٠، ٤١ من هذا البحث.

٤ - آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع ج ٢ ص ٢٨٣، كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٤٠، العمادي: خراسان في العصر الغزنوي ص ١٢٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢- العدالة في توزيع المياه:

لما كان الجفاف يجتاح بلدان الخلافة الشرقية بين الحين والآخر أصبح الماء ثروة يطمح الكثيرون في الحصول على أكبر قدر منها، وكان بعض القواد وكبار رجال الدول القائمة في هذه المنطقة يستغلون نفوذهم ليحصلوا على أكبر قدر من حصص الماء غصباً من الرعية الأمر الذي كان يزيد من معاناتها، لذا فإن بعض المنصفين من الولاة كان يعمل على توزيع حصص الماء بعدالة وإعادة ما اغتُصِب منها إلى مستحقيها مثلما فعل والي خراسان من قبل الخليفة العباسي المهدي (١٥٨-١٦٩هـ/٧٧٤-٧٨٥م) أبو العباس الفضل بن سليمان الطوسي[١] **مع أهل مرو حين قدم والياً على خراسان سنة ١٦٧هـ/٧٨٣م، يقول الكرديزي: "وقدمها في ربيع الأول من هذه السنة، وبدأ العمل، فردَّ إلى أهل مرو خمسة آلاف حصة من المياه كان العظماء والقواد قد اغتصبوها بالقوة"[٢].**

ويبدو أن الحصول على الماء ظل مشكلة يعاني منها أهل خراسان بسبب ما ينتاب بلادهم من موجات الجفاف، ولذلك كثر اختصامهم من أجل الماء وفي أحكام القني عند أمير خراسان عبد بن طاهر الأمر الذي جعله يجمع جميع فقهاء خراسان وبعض فقهاء العراق وطلب منهم تصنيف كتاب في أحكام القني، أسموه

---

١ - ولاه المهدي أمر خراسان حين اضطربت على واليها المسيب بن زهير سنة ١٦٦هـ/٧٨٢م، وأضاف إليه سجستان، وظل عليها إلى أن عزله الرشيد وولى بدلاً منه جعفر بن محمد بن الأشعث، وذلك سنة ١٧١هـ/٧٨٧م[الكرديزي: زين الأخبار ج ١ ص ٢٠٥، ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٣٥٣، ٣٨٢].

٢ - زين الأخبار ج ١ ص ٢٠٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"كتاب القني"، صار الاحتكام في توزيع المياه وفق ما جاء فيه من أحكام، يقول الكرديزي (ت٤٤٣هـ/١٠٥١م): "**وهم يعملون على حسب الأحكام التي وردت فيه، وهذا الكتاب موجود حتى الآن، وأحكام القني والقنيات التي تدور حول هذا المعنى تسير بموجب هذا الكتاب**"[١].

رابعاً: مواجهة أخطار الرياح والأعاصير:

١- إن الرياح العاتية والأعاصير كانت حين تشتد تضر بحركة الملاحة وتتلف السفن بسبب هيجان البحر نتيجة لهذه الأعاصير والرياح، لذا اتُخِذت التدابير اللازمة لحماية السفن وقت هيجان البحر، وذلك باختيار الأماكن الآمنة لتكون مرسى للسفن مثل **مرسى دِهِستان**[٢]، وهذا ما يتضح من كلام ابن حوقل، إذ يقول: "**دهستان كالقرية فيها قوم قلة، وفي مائهم غور، وماء البحر بهذه الناحية قصير القعر، وهي كالدخلة في البحر، فترسي فيها السفن في هيجان الريح والبحر**"[٣].

٢- كذلك كانت الرياح الشديدة تتسبب في انتقال الرمال من مكان إلى مكان فتضر كثيراً بالمدن والقرى، وتفسد على الناس حياتهم، مما دفعهم إلى استخدام الوسائل والتدابير اللازمة لمواجهة هذا الخطر، فبرعوا في علم الحيل واشتُهِر به قوم منهم، يقول ابن حوقل عن إقليم سجستان: "**وتشتد رياحهم وتدوم..... وتنتقل رمالهم من مكان إلى مكان، ولولا أنهم يحتالون فيها بسياسات قد**

---

١ - السابق ج ١ ص ٢١٧، ٢١٨.

٢ - بلد مشهور في طرف مازندران بالقرب من خوارزم وجرجان[ياقوت: معجم البلدان ج ٢ ص ٤٩٢].

٣ - صورة الأرض ص ٣٢٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

توارثوها يقيمونها بهندسة يتَّليها رجال منهم لطمَّت المدن بها، وذلك أن جميع البلد رمل، وبلغني أنهم إذا أحبوا نقل الرمل من مكان إلى مكان من غير أن يقع على الأرض التي إلى جانب المكان الذي قد ضرَّهم كون الرمل فيه جعلوا سياجاً كالحائط من خشب وشوك وغيرهما مما يجدونه حول الرمل الذي يحبون نقله، وفتحوا في أسفله باباً من تلقاء الريح، فتُدخله الريح وتصير بأعلاه كالزوبعة، ويرتفع إلى حيث آثروا نقله إليه"[1].

ولكن على الرغم من ذلك فإن الرياح كانت أحياناً يشتد عصفها، وتزداد معها حركة الرمال بدرجة تجعل المتخصصين في دفعها تعجز حيلهم عن صرف هذه الرمال عن مدنهم وقراهم، الأمر الذي يجعل النابغين منهم في هذا الشأن يستغلون حرج الموقف الذي يمر به أهل هذه المدن والقرى جراء تهديد الرمال المتحركة لهم، ويُغالون في المقابل المادي الذي يحصلون عليه مقابل صرفها عن المدن والقرى، وهذا ما حدث بالفعل سنة ٣٥٩هـ/٩٧٠م حين تواترت الرياح عليهم بما لم تجرِ به العادة "**وأكبت الرياح بالرمل على الجامع، وتزايد الأمر على البلد بالأذى والبلاء، فدَعَوا القوم الموسومين بعلم هذه الصنعة والمرسومين بدفعه، فعجز أكثرهم، واعترف أنه لا يعلم كيفية مدافعته لفظاعته، ولأنهم لا يقفون من أين مادته..... وانتُدِب حدث منهم فقال: علم ذلك عندي وإن أُعطِيتُ ما أؤمله دفعته وهو عشرون ألف درهم، فلم يلتفتوا إليه لعِظم سَوْمِه، وزاد الأمر على بلاء، فأيقنوا بأنه إن أقام عليهم يومه وليلته القابلة هلك البلد، فصاروا إلى الرجل بما طلب من المال فقبله..... وركض ومَنْ رام معونته معه ثمانية عشر فرسخاً من البلد على غير قصد الريح،**

---

١ - صورة الأرض ٣٥٠، ٣٥١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وعارضها بما أوقعه من حيلته، فأنصرف الريح عن البلد، وعدل بها إلى حيث لا يضرهم، وكفاهم الشغل به من حيث ابتدأ بصرف الريح إلى غير جهة المدينة، ورأسَ القوم الذين كانوا يتقدمون في علم ذلك..... ثم عدل إلى الرمل الذي سقط في البلد بريح أخرى فانتسفه"[1].

خامساً: مواجهة الأوبئة:

لا تمدنا المصادر المتاحة إلا بالقليل النادر من المعلومات عن التدابير والوسائل التي استُخدِمت لمواجهة الأمراض والأوبئة التي فتكت بكثير من أهل المنطقة موضوع البحث، ومن هذه الوسائل:

١ـ الحجامة:

حين أصابت أهل مرو ونيسابور والري وهمذان ريح باردة أصابتهم بالزكام، فقتلت كثيراً منهم "**أشار المتطببون بالحجامة**" لمواجهة هذا المرض[2].

٢ـ الفصد:

ففي سنة ٣٤٤هـ/٩٥٥م أصابت أهل أصبهان علة مركبة من الدم والصفراء، وشملت الناس جميعاً، فربما هلك جميع من في الدار، "**وكان أحسن الناس حالاً معها من تلقاها بالفصد**"[3].

---

١ – السابق ص ٣٥١، وانظر: آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع ج ٢ ٢٨٩، ٢٩٠.

٢ – ابن الجوزي: المنتظم ج ١١ ص ٢٧٠.

٣ – السابق ج ٦ ص ٣٧٧، الأصفهاني: سني ملوك الأرض ص ١٥٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سادساً: تقديم الإمدادات والمعونات للمنكوبين:

ومن الإنصاف أن نذكر أن بعض الأمراء والولاة كانوا يسارعون بتقديم العون والمساعدات من طعام ومسكن وأموال وغير ذلك للمتضررين من الأخطار والكوارث التي أصابت المنطقة، **وفيما يلي نماذج لذلك:**

١- في سنة ١١٥هـ/٧٣٣م أصاب الناس بخراسان قحط شديد ومجاعة وكان أشده بمدينة مرو، فكتب والي خراسان الجنيد بن عبد الرحمن (١١٢-١١٦هـ/٧٣٠ - ٧٣٤م) إلى جميع الكور والبلدان التابعة لولايته **يطلب منها حمل الطعام إلى مرو**[١].

٢- وكان بعض الأمراء لا ينتظرون قدوم المنكوبين إليهم في قصر الإمارة، وبخاصة في أيام البرد وتساقط الثلج ليقضوا لهم حوائجهم ويقدموا العون المطلوب لهم، وإنما كانوا يذهبون إليهم ويقيمون في أماكن قريبة من دور العامة حتى يتيسر للمنكوبين منهم المجيء إليهم وطلب ما يحتاجون، وخير شاهد على ذلك ما كان يفعله الأمير إسماعيل بن أحمد الساماني (٢٧٩-٢٩٥هـ/٨٩٢-٩٠٧م) أيام شدة البرد وسقوط الثلوج، يقول نظام الملك: "**كان من عادة إسماعيل بن أحمد أن يركب وحيداً في اليوم البارد الذي تتساقط فيه الثلوج بكثرة، ويمضي إلى الميدان، ويظل ممتطياً صهوة جواده إلى صلاة الظهر، ويقول: ربَّ متظلم لا سكن له أو نفقات يرغب في المجيء إلى القصر في حاجة لكنه لا يستطيع الوصول إلينا بسبب البرد والثلج فينثني عن المجيء،**

---

١ - الطبري: تاريخ الطبري ج ٤ ص ١٥٢، ابن الجوزي: المنتظم ج ٧ ص ١٦٤، ابن الأثير: الكامل ج ٤ ص ٤٠٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويبقى حيث هو، وإذا ما جاء فإنه يتكبد مشاق كثيرة، أما إذا علم بوقوفنا هنا فسيجيء لا محالة فتقضى حاجته ويعود بالسلامة"[1].

٣- وكان السلطان محمود الغزنوي (٣٨٧-٤٢١هـ/٩٩٧-١٠٣٠م) والغزنويون عموماً لا يتوانون عن تقديم العون للمنكوبين والمتضررين من الأخطار والكوارث الطبيعية من أهل خراسان، فكانت الدولة تتخذ الإجراءات اللازمة من إرسال الإمدادات الغذائية والمادية لتوزيعها على المتضررين من الأهالي في جميع أرجاء الأراضي المنكوبة مثلما حدث سنة ٤٠١هـ/١٠١٠م حين ألمت بأهل خراسان ونيسابور مجاعة[2]، " فأرسل السلطان محمود الإمدادات الغذائية، وبذل أقصى جهده في تخفيف المعاناة عن أهالي خراسان، وكذلك من المساعدات التي قدمتها الدولة للمنكوبين القروض المالية، ليتمكنوا من شراء البذور والماشية التي فقدوها، كما أعادت إليهم خراج تلك السنة، ليحلوا بها المشاكل التي نتجت عن الثلوج والجفاف، ويسددوا منها الديون التي تراكمت عليهم"[3].

سابعا: دور الرأي العام في كشف المتلاعبين بأقوات الشعب أمام الحكام لمحاسبتهم:

كان من بين وسائل المواجهة استثارة الرأي العام لحث الحكام على معاقبة العابثين بأقوات الشعب من موظفي الحكام وعمالهم المستغلين للأزمات التي تعاني منها الشعوب، وهذا ما فعله الخبازون في غزنين حين أغلقوا مخابزهم

---

١ - سياسة نامه ص ٥٧، تحقيق حسين بكار، ط٢ دار الثقافة، قطر ١٤٠٧هـ.

٢ - ابن الأثير: الكامل ج ٨ ص ٦٥، الذهبي: سير أعلام النبلاء ج ١٥ ص ١٧٧.

٣ - العمادي: خراسان في العصر الغزنوي ص ١٢٧، ١٢٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فيما يعد إضراباً عاماً احتجاجاً على احتكار الخباز الخاص للسلطان إبراهيم بن مسعود الغزنوي (ت٤٨١هـ/١٠٨٨م) للقمح والدقيق الوارد إلى المدينة، وذلك بهدف استثارة الرأي العام لكشف هذا الخباز ومعاقبته، فتم ما أراده الخبازون، حيث عز الخبز وأسقط في يد الفقراء والغرباء وثار أهل المدينة، وذهبوا إلى قصر السلطان يتظلمون، "وأخذوا يشكون الخبازين بحسرة أمام السلطان إبراهيم، فأمر إبراهيم بجلب الخبازين، وقال لهم: لماذا ضننتم بالخبز، قالوا: لقد كان خبازك يشتري كل ما يرد إلى المدينة من قمح ودقيق ويضعه في المخازن، ويقول هكذا أُمرتُ، ولم يدعنا نشتري ولو منًّا واحداً"[1]. فما كان من السلطان إلا أن أحضر هذا الخباز المحتكر ونكَّل به ليكون عبرة لغيره كما سيتضح في الأسطر التالية.

ثامناً: معاقبة العابثين بأقوات الرعية من المستغلين لنفوذهم من العمال والموظفين، والتشهير بهم:

كان بعض الموظفين لدى رجال الحكم يستغلون علاقتهم بالحكام ونفوذهم، ويحتكرون الدقيق والقمح في ظل المجاعات مدعين أن ذلك بأمر من الحكام، الأمر الذي كان يزيد من معاناة الشعوب، **فكان الحكام العادلون إذا بلغهم عن أحد موظفيهم شيء من ذلك عاقبوه أشد العقاب ليكون عبرة وعظة لكل من تسول له نفسه استغلال نفوذه للعبث بقوت الشعوب**، وخير شاهد على ذلك ما فعله السلطان إبراهيم بن مسعود الغزنوي (ت٤٨١هـ/١٠٨٨م) حين بلغه أن خبازه الخاص يحتكر كل ما يرد إلى مدينة غزنين من قمح ودقيق، مدعياً أن ذلك بأمر من السلطان، فنكَّل به أشد التنكيل وشهَّر به ليكون عبرة لغيره، **حيث**

---

١ - نظام الملك: سياسة نامه ص ٨٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"أمر السلطان بإحضار خبازه الخاص وإلقائه تحت أقدام الفيل، ولما مات أمر بتعليقه في خرطوم الفيل والدوران به في المدينة وعلى ظهره منادٍ يقول: هذا ما سنفعله بكل خباز لا يفتح مخبزه، ثم وزع ما كان في مخزنه، ولما حان وقت صلاة العشاء كان يُرى على باب كل مخبز خمسون من خبز لم يشترها أحد"[1]. وهكذا كان حسم السلطان إبراهيم في معاقبة العابثين بأقوات الشعب من رجاله والتنكيل بهم، وتَوَعُّد كل من يصنع صنيعهم سبباً في حل أزمة الخبز، حتى أصبح الخبز متوفراً، بل فائضاً عن حاجة الرعية.

تاسعاً: الاستسقاء وطلب الدعاء من الصالحين:

ومن وسائل المواجهة الشرعية التي لجأ إليها المنكوبين في أوقات الجفاف صلاة الاستسقاء، فحين عز المطر في سمرقند في بعض أعوام القرن الخامس الهجري "استسقى الناس مراراً فلم يُسقوا، فأتى رجل صالح معروف بالصلاح إلى قاضي سمرقند، فقال: رأيت رأياً أعرضه، قال: وما هو؟ قال: أرى أن تخرج ويخرج الناس معك إلى قبر الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، وقبره بخَرْتَنك[2]، ونستسقي عنده، فعسى الله أن يسقينا، قال القاضي: نعم ما رأيت، فخرج القاضي والناس معه، واستسقى القاضي بالناس..... فأرسل الله تعالى السماء بماء عظيم"[3].

كذلك كان طلب الدعاء من الصالحين لكشف الكرب عن المنكوبين من وسائل المواجهة التي لجأ إليها المتضررون من الأخطار والكوارث، ومن أمثلة ذلك أن

---

١ - نظام الملك: سياسة نامه ص ٨٢.

٢ - قرية بينها وبين سمرقند ثلاثة فراسخ[ياقوت: معجم البلدان ج ٢ ص ٣٥٦].

٣ - الذهبي: سير أعلام النبلاء ج ١٢ ص ٤٦٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحافظ الواعظ أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد الصابوني (ت٤٤٩هـ/١٠٥٧م) كان يعظ يوماً **"فدُفِع إليه كتاب ورد من بخارى مشتمل على ذكر وباء عظيم بها ليدعو لهم"**[١].

عاشراً: المواجهة السلبية:

وأعني بالمواجهة السلبية الاكتفاء بإظهار الحزن وإعلان الحداد العام دون تقديم أية معونات للمنكوبين، **فحين حدثت الزلزلة المريعة في تبريز سنة ٤٣٤هـ/١٠٤٢م، وقوضت مبانيها، وأهلكت كثيراً من سكانها، لم يقم حاكمها - الذي نجا من الكارثة لأنه كان في نزهة خارج المدينة - بأي عمل لمواجهة الكارثة والتخفيف عن المنكوبين سوى أنه لبس السواد وجلس على الرماد حداداً على خراب المدينة**[٢].

---

١ - السابق: نفسه ج ١٨ ص ٤٢.

٢ - ابن الجوزي: المنتظم ج ٨ ص ١١٤، ابن الأثير: الكامل ج ٨ ص ٢٦٠، ابن العبري: تاريخ الزمان ص ٩١، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٣٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخاتمة

وتتضمن أهم نتائج البحث، والتي أجملُها فيما يلي:

كانت الفترة موضوع البحث مليئة بالأخطار والكوارث الطبيعية التي أصابت بلدان الخلافة الشرقية، حيث تنوعت هذه الأخطار والكوارث ما بين زلازل ورياح وعواصف وفيضانات وسيول وأمطار وثلوج وموجات برد وموجات حر، وصواعق وجفاف ومجاعات وأوبئة وأمراض، هذا بالإضافة إلى أخطار الجراد والحشرات والقوارض.

وقد تركت هذه الأخطار والكوارث آثاراً سلبية على شتى مناحي الحياة، فبالإضافة إلى الخسائر البشرية الفادحة أسفرت هذه الأخطار والكوارث عن مشاكل اجتماعية وبيئية لا حصر لها مثل: وجود أعداد من الأرامل والأيتام لا عائل لهم، وتهديد الأمن الغذائي للمجتمعات في هذه المنطقة، وما ترتب عليه من غلاء للأسعار مما جعل الحصول على ضروريات الحياة من طعام وشراب فوق طاقة السكان، ومما زاد الطين بلة ضياع أموال الناس ومقتنياتهم جراء هذه الأخطار والكوارث التي أصابتهم، فَتَدَنَّى مستوى المعيشة لدى كثيرين منهم حتى اُضطر بعضهم لنزع سقف بيته ليبيعه ويعيش من ثمنه، وتراكمت الديون على كثير منهم، ونظراً لذلك بدأت تظهر بعض الظواهر السلبية في المجتمع كاللصوصية.

كذلك أدّت هذه الأخطار والكوارث إلى تدمير هائل للمراكز العمرانية حيث شمل التدمير المنشآت المعمارية المختلفة المدنية منها سواء كانت بيوتاً للعامة أو

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قصوراً للخاصة، وكذلك المنشآت العسكرية من أسوار وقلاع وحصون، والدينية كالمساجد والاجتماعية كالحمامات والأسواق وغيرها.

وقد ترتب على هذه الكارثة العمرانية كارثة أخرى هي تشريد السكان الذين أصبحوا لا مأوى لهم فافترشوا الأرض والتحفوا السماء، ومما زاد الأمر سوءاً انقطاع الطرق، وتوقف مظاهر الحياة نتيجة لهذه الأخطار والكوارث، وصعوبة وصول الإمدادات للأماكن المنكوبة.

كما أسفرت هذه الأخطار والكوارث عن نتائج اقتصادية سيئة، حيث أتلفت الأراضي الزراعية والأشجار والزروع والثمار، وأتت على المحاصيل والغلات، وأهلكت المواشي والدواب، وكسدت التجارات نتيجة لفقدان رؤوس الأموال، وخلت الأسواق من مرتاديها باعة كانوا أو مشترين، بل تهدم بعضها من جراء هذه الكوارث والأخطار، ومما زاد كساد التجارة افتقاد وسائل النقل المواصلات التي يعتمد عليها الناس في نقل تجاراتهم من الداخل والخارج، سواءً كانت دواب ومواشي أو سفن ومراكب.

كذلك تركت هذه الأخطار والكوارث آثارها السلبية على الحياة العسكرية، فبالإضافة إلى تهدم بعض المنشآت العسكرية من حصون وقلاع وأسوار فإن هذه الكوارث والأخطار لعبت دوراً خطيراً في تحديد مصير بعض المعارك العسكرية.

وقد كانت هناك مجموعة من العوامل أدت إلى ازدياد حجم الخسائر الناجمة عن هذه الأخطار والكوارث منها: نوعية المباني، وسوء التخطيط وعدم اختيار الأماكن المناسبة لبناء المجتمعات العمرانية، وكذلك عدم وجود رؤية واضحة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لإدارة الأزمات ومواجهة الأخطار والكوارث وآثارها، هذا بالإضافة إلى ما يجلبه ظلم الحكام ومعاصي العباد من أخطار وكوارث.

ولكن على الرغم من هذه الآثار السلبية للأخطار والكوارث فإن لها بعض الآثار الإيجابية وبخاصة على الحياة العلمية، حيث دفعت الحاجة إلى مواجهة بعض هذه الكوارث والأخطار إلى التصنيف في ميادين لم يكن العلماء قد طرقوها من قبل، مثل التصنيف في أحكام القني وكيفية توزيع المياه، فسدَّ ذلك فراغاً في المكتبة الإسلامية، كذلك ألجأت الحاجة لمواجهة أخطار الرمال المتحركة بعض سكان المنطقة إلى البراعة في علم الحيل والميكانيكا لدفع هذه الخطر عنهم.

كما أنه من الإنصاف أن نذكر أن بعض الحكام والمحكومين حاولوا قدر طاقاتهم مواجهة الآثار السلبية للأخطار والكوارث، كإيجاد مأوى للمنكوبين، وإعادة بناء ما تهدم من المباني والمنشآت، وإقامة منشآت تدفع خطر الكوارث كبناء السدود والقناطر وإقامة المقاييس على الأنهار لمعرفة إذا ما كانت السنة سنة قحط أو فيضان ومما يلفت الانتباه أن أهل هذه المنطقة كانوا سابقين في بناء السدود التي تحجز خطر السيول عن العمران، وتجمع وراءها كميات من المياه، لتستغل بعد انتهاء خطر الفيضانات في الري، وذلك باختيار الأماكن المناسبة لبناء هذه السدود على الأنهار والوديان، وتوظيف من يقوم بإدارتها وصيانتها، وسن قوانين لتوزيع المياه والاحتكام إليها لضمان العدالة في توزيعها.

وكذلك تم إنشاء المرافق في الشوارع والطرقات لصرف مياه السيول والأمطار إليها، كما تم إعادة تخطيط المدن وبنائها بعيداً عن مجرى السيول والأنهار،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكذلك تصميم المباني من الخارج بطريقة تجعلها أقل عرضة للمخاطر، وتخطيطها من الداخل تخطيطاً يضمن لساكنيها تفادي أضرار الصقيع والحر.

ولم تكتفِ الحكومات بدفع أخطار هذه الكوارث الطبيعية عن المقيمين فحسب، بل اتخذت بعض التدابير لتأمين المسافرين مثل وضع إرشادات يسيرون على هديها في الطرق المغمورة بمياه السيول والأمطار، وكذا بناء الأربطة على هذه الطرق ليحتمي بها المسافرون من شدة البرد وقسوة الحر، وغيرها من الأخطار.

كذلك كان تقديم العون والإمدادات للمنكوبين من قِبل بعض الحكام والولاة يمثل ظاهرة إيجابية مثلما فعل الحنيد بن عبد الرحمن والي خراسان (١١٢-١١٦هـ/٧٣٠-٧٣٤م) مع أهل مرو، ومثلما كان يفعل الأمير إسماعيل بن أحمد الساماني (٢٧٩-٢٩٥هـ/٨٩٢- ٩٠٧م) الذي كان يذهب إلى المتضررين في أماكنهم، وبخاصة في أيام الثلج والأمطار، حتى يقضى لهم حوائجهم، ويجنبهم مشقة الذهاب إليه في قصر الإمارة البعيد عنهم. أما السلطان محمود الغزنوي (٣٨٧-٤٢١هـ/٩٧٧- ١٠٣٠م) فقد تعددت مظاهر مساعدته للمنكوبين ما بين تقديم المعونات الغذائية والعون المادي، وتقديم القروض وإسقاط الخراج عنهم في سني النكبات.

كذلك تصدى بعض الحكام للعابثين بأقوات الشعب من المستغلين لنفوذهم من موظفي الدولة ليكونوا عبرة لغيرهم، مثلما فعل السلطان إبراهيم بن مسعود الغزنوي (ت٤٨١هـ/١٠٨٨م) مع خبازه الذي احتكر كل ما يرد إلى مدينة غزنة من قمح ودقيق، مما أدى إلى ظهور أزمة في الخبز، فنكل به وشهر، وهدد كل من يفعل فعله بأن يلقى المصير نفسه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأخيراً كان للرأي العام أثره في دفع الحكام إلى النيل من المتلاعبين بـأقوات الناس من موظفي الدولة، فحين احتكر خباز السلطان إبراهيم القمـح والـدقيق أغلق الخبازون مخابزهم لاستثارة الرأي العام ضد هذا الخباز، فـتم لهـم مـا أرادوا، حيث ثار الفقراء والغرباء، وذهبوا إلى قصر السلطان إبراهيم، وشـكوا له وجود أزمة في الخبز بسبب ما يفعل خبازه الخاص، فقام، كما سبق القـول بالتنكيل والتشهير به.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م):

١- الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

الأصفهاني (أبو عبد الله حمزة بن الحسن):

٢- تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ.

ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م):

٣- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، بدون تاريخ.

ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م):

٤- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (حتى أحداث سنة ٢٥٧هـ) ، تحقيق محمد ومصطفى عبد القادر عطا، ط١، بيروت ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م. والحوادث من سنة ٢٥٧هـ/٨٧٠م إلى آخر الكتاب، ط١ دار صادر، بيروت ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن حوقل النصبي ت٣٨٠هـ/ ٩٩٠م):

٥- صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ.

ابن خلكان (أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر ت٦٨١هـ/١٢٨٢م):

٦- وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ١٩٦٨م.

الخوارزمي (محمد بن أحمد بن يوسف ت ٣٨٧هـ/٩٩٧م):

٧- مفاتيح العلوم، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط١ دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

خواندمير (غياث الدين خواندمير):

٨- دستور الوزراء، ترجمة وتعليق د. حربي أمين سليمان، تقديم د. فؤاد عبد المعطي الصياد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٠م.

الذهبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م):

٩- سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي، ط٩ مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

١٠- تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ٢٥١ ـ ٢٦٠هـ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط١ دار الكتاب العربي، بيروت ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

الطبري (محمد بن جرير ت٣١٠هـ/٩٢٢م):

١١- تاريخ الطبري، ط١ دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٧هـ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ابن العبري (جمال الدين أبو الفرج غريغوريوس الملطي المعرون بابن العبري ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م):

١٢- تاريخ الزمان، ترجمة الأب إسحق أرملة، طبعة دار المشرق، بيروت ١٩٨٦م.

١٣- تاريخ مختصر الدول، ط٣ دار المشرق، بيروت١٩٩٢م.

ابن العماد الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحي بن العماد ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م):

١٤- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

القزويني (عبد الكريم بن محمد الرافعي ت٦٢٣هـ/١٢٢٦م):

١٥- التدوين في أخبار قزوين، تحقيق الشيخ عزيز الله العطاري، المطبعة العزيزية، حيدر آباد، الهند ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

الكرديزي (أبو سعيد عبد الحي بن الضحاك بن محمود الكرديزي ت ٤٤٣هـ/١٠٥١م):

١٦- زين الأخبار، ترجمته عن الفارسية الدكتورة عفاف السيد زيدان، ط١، دار الطباعة المحمدية، القاهرة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

مسكويه (أحمد بن محمد ت ٤٢١هـ /١٠٣٠م:

١٧- تجارب الأمم، حوادث سنة ٣٢٩ - ٣٦٩هـ، مطبعة بولاق، القاهرة ١٣٣٣هـ /١٩١٥م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المقدسي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ت ٣٩٠هـ/٩٩٩م):

١٨- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق غازي طليمات، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ١٩٨٠م.

ابن منظور (محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ت٧١١هـ/١٣١١م):

١٩- لسان العرب، ط١ دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

ناصر خسرو:

٢٠- سفرنامه، تحقيق د. يحيى الخشاب، ط٣ دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٨٣م.

نظام الملك (أبو علي الحسن بن علي ت٤٨٥هـ/١٠٩٢م):

٢١- سياسة نامه، تحقيق حسين بكار، ط٢ دار الثقافة، قطر ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م):

٢٢- معجم البلدان، طبعة دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م):

٢٣- تاريخ اليعقوبي، طبعة دار صادر، بيروت بدون تاريخ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثانياً: المراجع:

آدم متز:

٢٤- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط٣ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م.

الزركلي (خير الدين):

٢٥- الأعلام، ط٦ دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٤م].

زهرة (عبد الغني عبد الفتاح زهرة) دكتور، د. نورة محمد التويجري:

٢٦- الدول الإسلامية في أسيا ص، ط١ مكتبة الرشد، الرياض ١٤٣٠هـ.

سليمان (أحمد السعيد سليمان) دكتور:

٢٧- تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، طبعة دار المعارف، القاهرة١٩٧٢م.

العمادي (محمد حسن العمادي) دكتور:

٢٨- خراسان في العصر الغزنوي، طبعة مؤسسة حماد للخدمات والدراسات الجامعية، ودار الكندي للنشر والتوزيع، إربد – الأردن ١٩٩٧م.

كي لسترنج:

٢٩- بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس، وكوركيس عواد، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بدون تاريخ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

محسوب (محمد صبري) دكتور، د. أرباب (محمد إبراهيم):

٣٠- الأخطار والكوارث الطبيعية، معالجة جغرافية، طبعة دار الفكر العربي، القاهرة ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.ـ

المحيميد (علي بن صالح المحيميد) دكتور:

٣١- دراسات في ت المشرق الإسلامي، ط١ الرياض ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner